صناعة القراءة

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

✔منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

✔هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

✔الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

محتويات الدرس:

- لماذا هذا الموضوع؟
- القراءة أول أمر إلهي.
- أولًا: معنى القراءة.
- حال من يتهجى فقط.
- مفهوم القراءة واسع.
- القراءة والسمع والبصر.
- مفهوم القراءة في سورة السجدة.
- عاقبة من لا يقرأ.
- فراسة العرب قراءة.
- عالم القراءة واسع.
- ثانيًا: الغاية من القراءة.
- القراءة توصل إلى اليقين.
- المعرفة تنتج معرفة.
- قراءة تهد العقيدة!
- ماذا بعد القراءة؟
- القراءة والرشد.
- أنموذج للقراءة الصحيحة.
- ماذا حدث معنا بشأن القراءة؟
- قراءة حدث.
- الخلاصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا اللقاء عنوانه (**صناعة القراءة**).

نحتاج أن نعرف سبب طرح موضوع كهذا، عنواننا: (صناعة القراءة) وموضوعنا يدور حول القراءة وخاصة صناعة القراءة، فكلمة (صناعة) دائمًا تتصل بالأشياء الماديّة، لكن عندما تكون الصناعة للقراءة سيكون لها معنى، بأمر الله يتبيّن خلال اللقاء.

لماذا هذا الموضوع؟

سبب اختيار هذا الموضوع ما نعيشه الآن من فوضى فكريّة، فنحن نرى الشباب-حتى الكبار-لديهم التصاق شديد بالقراءة، لكن بصورة فوضوية، مثلًا (تويتر) من الأدوات التي يقرأ فيها الشباب اليوم، وعندما تقرأ تجد أنك فجأة تقرأ خبر اقتصادي، ثمّ تقرأ

طبخًا، ثمّ تقرأ خبرًا عن جمعيّات خيريّة تقدّم الإعانة إلى كذا، فتتنقل مشاعرك في أقل من عشر دقائق بين مواضيع متفاوتة تمامًا، من المؤكد أنّ هذا يشبه أكْلنَا أكلًا متضادًا فيسبب لنا ارتباكًا معويّا، وكذلك اليوم في عرض الأشياء المقروءة يسبب ارتباكا فكريّا مما يسبب فوضى القراءة، وفوضى القراءة ليست بهذه السهولة التي نقولها، فهي في النهاية تسبب انعدام الثوابت، وهذه مشكلة فوضى القراءة الكبرى، والأمر ليس بعيدًا عنّا فنحن نسمع عمن يشك في الدين، نسمع عمن يقول: أنا لا أدري، من أنت؟ لا أدري، ماذا تريد؟ لا أدري.

فقد ظهرت تيارات سلبية تقول له: ماذا تعتقد في كذا؟ يقول: لا أدري، وماذا تعتقد في النصارى؟ في اليهود؟ لا أدري، في المسلمين؟ لا أدري، في القرآن؟ لا أدري. فبداية هذه الـ (لا أدري) هي الفوضى الفكريّة، أصبح العقل لا يهضم ما يسمع، كما أنّ المعدة عندما نربكها لا تهضم ما نأكل.

هذا الموضوع لا تتصور أنه موضوع ثقافي يتصل بالمُثقفين فقط، بل يتصل بكل من يريد أن يُربي أبناءه على عقيدة سليمة ويُخرجهم ناجين من الدنيا.

القراءة أول أمر إلهي.

كما نعلم أنّ القراءة أول أمر أُمِرَ به النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهذا معناه أنها أول وسيلة توصلني إلى الحق والصواب، وإلى العقيدة الصحيحة والمسلك الصحيح، فالقراءة ليست مسألة ثقافية، أقوم بها وقتما أشاء، بل هي مسألة مصيريّة، ولكِ أن تتصورينها بالطريقة التالية:

أناس يمشون يريدون أن يهتدوا إلى طريق النجاة، هم في متاهة ويريدون النجاة، وحولهم إشارات مكتوب عليها: (من هنا طريق النجاة) لو لم يكونوا يعرفون القراءة سيتوهون! إذًا إمّا أن تقرأ أو تتوه.

وهنا يأتي الخطأ في فهم معنى القراءة، فهل معناها أن يفتح كتابًا ويقرأه؟ يقرأ ويُخرّج الصوت المناسب لكل كلمة، التي نسميها (التهجئة)، هل هذه هي القراءة التي نقصدها؟ الجواب: لا. فلو كانت كذلك، لكان المعنى أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-ما قرأ؛ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم-من صفاته أنه أمّي.

لذلك لابد أن نتفق أولًا ما معنى كلمة قراءة؛ لأن هذه التي نريد أن نعلّمها أبناءنا ومن ثمّ نبني عليها ما بعدها.

هناك ثلاث عناوين أساسية في لقائنا:

عنواننا (صناعة القراءة)، ثمّ ننتقل إلى: ما الغاية من صناعة القراءة؟ لتزكية النفس وبناء المفاهيم.

أولًا نقرر ما هي القراءة ونُنَمذج عليها كيف تقرأ بكل أنواع القراءة، ثمّ ننتقل من هذه النمذجة إلى القراءة التي تسبب تزكية النفس وبناء المفاهيم.

أولًا: معنى القراءة

ما معنى القراءة؟ لا بد أن نناقش معنى القراءة، ونفكر في القراءة التي أُمر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-، أول ما أُوحي إليه كما ثبت في حديث عائشة-رضي الله عنها-: {اقْرَأْ}[1])

هذا إيذان بأي شيء؟ بأنّ الرسول-صلى الله عليه وسلم-سيكون قارئًا، قارئًا بمعنى تاليًا يتلو، والنبي-صلى الله عليه وسلم-كان يرد على جبريل-عليه السلام-يقول له: "ما أنا بقارئ"[2]، وهذا معناه أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-فهم القراءة بأنها القدرة على قراءة المكتوب، وكان جبريل-عليه السلام-يُكرر عليه الأمر: اقرأ، فهذا الأمر: (اقرأ) ما معناه؟

(اقرأ) كأنه يقول له: استعد للقراءة، مثال: كأن تأتي عند طالب وتقول له: اكتب (بمعنى تهيّأ للكتابة)، فجبريل-عليه السلام-كان

---

[1]() [سورة العلق: 1]

[2]() رواه البخاري في صحيحه (كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-من الوحي الرؤيا الصالحة، 6982).

يقول له: (اقرأ)، فكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول:" ما أنا بقارئ "، يعني لست ممن يقرأ المكتوب.

لكن هذا لم يكن المقصود وإنما أمره بالقراءة التي هي موضوعنا، فإذا قرأ الإنسان لا يُقصد بقراءته أن يتهجّى الحروف فقط، إنّما التهجئة وإصدار الصوت نوع من أنواع القراءة، لكن ليست هي القراءة.

والقراءة من الممكن أن تكون بوسائل مختلفة، كوسيلة الإملاء أو التلقين أو الإلهام، فالله-عزَّ وجلَّ-علّم آدم الأسماء كلها بالإلهام.

النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يقول للصحابة: "اقْرَأْ بفاتِحةِ الكتابِ"[3]، ما معنى (اقرأ الفاتحة)؟ هل يعني أنك ستقرؤها من كتاب؟ لا، بل ستقرؤها من محفوظك، ستقرؤها بالتلقين.

---

[3]() أخرجه مسلم (395)، وأبو داود (821)، والترمذي (2953)، والنسائي (909) باختلاف يسير، وابن ماجه (838) مختصراً، وأحمد (7291) واللفظ له

إذًا أمْر النّبي الكريم-صلى الله عليه وسلم-بالقراءة لا يعني التهجئة وإصدار الصوت، إنّما المقصود بالقراءة أولًا: تحصيل الكلمات سواءً كان بقراءة مخطوط (مكتوب) أو بتلقين أو بإلهام، كما ألهم الله آدم-عليه السلام-.

والقراءة يدخل فيها أيضًا قراءة الأحداث، قراءة الصور، قراءة الأفعال، فحينما تقرأ آيات الله في الكون، لا تقرؤها حروفًا بل تعرّف دلالاتها، إذًا لا يمكن أن تكون هناك قراءة صحيحة بمجرد قدرتنا على التهجئة، تلك التهجئة التي نعلمها للطفل في المرحلة الابتدائية، نقول له: اقرأ: (ألف، باء).

لكن هذه التهجئة التي هي إخراج الحروف من أماكنها ما هي إلا أحد وسائل القراءة، وقد تكون القراءة موجودة مُحققة دون أن تحصل التهجئة، بدليل وجود علماء غير مبصرين، فالذي لا يرى لا يتهجّى معناها أن القراءة غير ذلك، كيف صار عالما؟ العلم أتاه من المقروء، لكنه ما تهجّى، فتصوّروا النبي-صلى الله عليه

وسلم-يؤمر بالقراءة يُقال له: اقرأ، ما معنى (اقرأ)؟ يعني تهيّأ للقراءة. فالنبي-صلى الله عليه وسلم-فهم أنّ القراءة تعني التهجّي فقال:" ما أنا بقارئ " أنا لست ممن يقرأ، فكان الجواب اقرأ، اقرأ ما سيُلقى عليك، فتتخطى القراءة معنى التهجئة.

أين تذهب؟ والنبي-صلى الله عليه وسلم-نموذج للقراءة، نموذج للعلم! فحتى تصير القراءة كما قرأ النبي-صلى الله عليه وسلم-لابد أن تساوي القراءة لدينا العلم، يعني الذي يقرأ يتعلّم.

حال من يتهجى فقط

كثير من الناس دورهم في القراءة التهجئة، ومن هنا يأتي الارتباك الفكري، والارتباك الفكري في العقل مثل الارتباك المعوي في المعدة، يأكل الطعام ويبلعه ولم يمضغه فترتبك معدته.

يقرأ دون فهم، فقط يتهجّى، ما النتيجة؟ يرتبك عقله تأتي الفوضى الفكرية، تصبح الدنيا فوضى في عقله؛ لأنه فهم القراءة على أنه يتهجّى، كم قرأت؟ كم كتاب؟ في كم علم؟ ويقرأ...

والناس يشاركون-للأسف-في مسابقات القراءة، وما يسمونه بالقراءة السريعة، وفي نهاية لقاءاتنا بإذن الله سيتبين لنا فساد هذا الأمر؛ لأن القراءة ليست مجرد التهجّي ومجرد القدرة على ترجمة المرئي من حروف إلى كلمات منطوقة، ولو كانت هي القراءة لما أصبح ممكنا أن نستشهد بقول جبريل-عليه السلام-للنبي-صلى الله عليه وسلم-: اقرأ، فلا تقول أول آية نزلت على النبي-صلى الله عليه وسلم-: {اقْرَأْ}، ابحث عن شاهد آخر.

أما النبي-صلى الله عليه وسلم-فقد قرأ للعلم، قرأ وكانت النتيجة هي العلم، قرأ ما لُقِّنه؛ لذلك أنتجت تلك القراءة التي لُقنّها النبي-صلى الله عليه وسلم-علمًا، وأخرجته وأخرجت الناس من

الظلمات إلى النور، معنى ذلك أن هذه الأداة العظيمة عندما تُطرح، لا تُطرح بثقافة أجنبية، ولابد أن تُطرح بمفهوم شرعي.

المشكلة في هذا الأمر أنّ المثقفين الذين يتكلّمون عن القراءة مجمعين على أنّ القراءة هي أن يفتح كتابًا ويقرأ؛ ولذلك دائمًا يتكلمون عن آليّات القراءة، وكيف تختار كتابًا وكيف...

مفهوم القراءة واسع

القراءة أوسع بكثير من هذا المعنى، سأضرب مثالًا واحدًا ثمّ مع اللقاءات يزداد الأمر بيانًا، المثال: الله أنزل الآيات على رسوله-صلى الله عليه وسلم-وقال لنا أيضًا: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ}([4]) أي: ترونها-الآيات التي حولكم في الكون-ونحن عرفنا أنّ الآيات تُقرأ، كيف ستقرئينها؟-وهذا نوع من أنواع القراءة-عندما يكون الذي تراه بعينك أو تسمعه بأذنك، يوصلك للعلم يعني ذلك أنك قد قرأته جيدًا، مثلًا: الآن أنتِ أمام والدتك،

---

[4]() [سورة غافر: 13]

زوجك، أبنائك...يقع في قلوبهم شيء وتظهر ردة فعل على وجوههم، وأنتِ تقرئين هذا الوجه، تقرئين ردة الفعل، وفي مسألة بر الوالدين مثلًا تقرئين ردة فعلهم، تقرئين التعبيرات.

إذًا أنتِ ستقرئين كلامًا مكتوبًا، وستقرئين أيضًا كلامًا غير مكتوب، ستقرين **أفعال الله** في الكون فتتعلمين عن الله، ستقرئين **آيات الله** فتتعلمين عن الله، ستقرئين **ردود فعل النّاس** وتصرفاتهم فتعرفي الناس، وأنتِ بحاجة إلى كل هذا، بحاجة إلى أن تكوني جيدة القراءة، حتى لا تكونين مزعجة-مثلًا-للناس، حتى تكوني بارة بوالديك، حتى تكوني محسنة إلى جيرانك، كل هذا يحتاج إلى جودة في القراءة.

النتيجة الآن: أنّ القراءة ليست كما يظن الناس أنها مجرد التهجئة، فلنجعل عماد فهمنا لهذا الموضوع فهمنا لأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-بالقراءة، فلو سُئلتِ الآن: ما معنى أن يُؤمر النبي-صلى الله عليه وسلم-بالقراءة وهو أميّ وبقي على

أميّته إلى أن تُوفي، وقد كانت آية من آيات الله أنه لم يقرأ ولم يكتب ومع ذلك كان هاديا البشريّة، كيف نفهم أمره بالقراءة؟ كيف يُقال له: استعد للقراءة؟

الجواب: القراءة ليست فقط تهجئة الحروف، هذه نوع من أنواع القراءة، إنما الإنسان يقرأ ما لُقّن، فالذي تتلقنه تقرؤه.

بدليل أن أبناؤنا في مرحلة التمهيدي يقرؤون الفاتحة، يقرؤونها حفظًا، فهم يُبصرون الحروف ولا يعرفون القراءة التي هي التهجئة، لكنهم يعرفون قراءة الفاتحة؛ إذًا هذا الصغير يُعتبر قارئ.

فإذا كان لا يرى ويقرأ، كيف يقرأ؟ **يسمع ويقرأ**، وإذا كان يرى الكون وما فيه **يُبصِر ويقرأ**.

القراءة والسمع والبصر

القراءة هي قدرة الأذن السامعة والعين الرائية على تحويل ما تسمعه وتراه إلى علم، إذا لم تحوّله إلى علم، أصبح تهجئة، فقط خرجت الحروف أو سُمعت وكأنها لا تفهم، وهذا معناه الانتقال من السمع والبصر إلى القلب؛ ولذا هذه الأدوات التي يُحاسب عليها الناس: أسماعهم وأبصارهم وما في أفئدتهم.

والوعاء الذي يَصُب فيه ما قرأته هو فؤادك؛ ولذلك الله كثيرًا ما يمتنّ على الخلق بالسمع والبصر، وأنّ هذا السمع والبصر من المفترض أن يكون الأداة الأساسية التي يُملأ بها القلب يقينا، وهذا واضح جدًا في سور السجدة.

مفهوم القراءة في سورة السجدة

لنراها في سورة السجدة، وهذه خاتمة تعريفنا للقراءة وكل مرة نكرر على أنفسنا هذا التعريف؛ لأننا عندما نخطئ في تحديد المصطلح الذي نتعامل فيه، كل شيء وراءه سيكون خطأ، وهم في كل يوم يتباكون علينا: أمة لا تقرأ.

قل لي: ما هي القراءة، حتى أستطيع التحديد، هل نحن أمة لا تقرأ أو أننا أمة تقرأ؟ لأن الأمة التي تقرأ المفترض أن تستعمل سمعها وبصرها، وكل ما يقع عليهما، حتى تصل إلى العلم، والتي لا تقرأ تسمع وتبصر ولا تصل إلى العلم، هذا النقاش سيوصلنا إلى: لم يجب علينا أن نقرأ؟! لكن دعنا نكمل النقاش الأول بهذا الكلام.

لننظر إلى سورة السجدة...

أولًا: سنرى أنّ السورة ابتدأت بالكلام عن تنزيل الكتاب لا ريب فيه، من سيستقبل الكتاب؟ أنت أيّها الإنسان تستقبله وتصل منه إلى العلم، ولديك أدوات العلم، تسير في الآيات حتى تصل إلى الآية التاسعة، تتكلم عنا وماذا أُعطينا؟ نحن من نكون؟ كيف خلقنا الله؟ كل هذا سمعناه إلى أن وصلنا إلى قوله تعالى:

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}[5]

---

[5]() [سورة السجدة: 9]

اقرئي التي قبلها: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}[1]، انظري الخبر عن روحك، كيف أنّ الله-سبحانه وتعالى-خلقك من روح إضافةً إلى البدن، ثمّ بعد هذه الروح مباشرةً أتت واو العطف: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ والأفئدة قليلا مَّا تَشْكُرُونَ}[1]

النتيجة الأخيرة: أنّ هذه الروح ستتغذى وتسمو وتهتدي وتصل وتكون في أحسن أحوالها، متى؟ عندما يستعمل السمع والبصر كما ينبغي، لِملء الفؤاد باليقين.

إذًا الله-عزَّ وجلَّ-امتنّ على الخلق أنه خلقهم وجعل لهم أرواح، وحتى تسمو هذه الأرواح قال لنا: {وَجَعَلَ لَكُمُ}، انظري واو العطف، يعني خلقكم من روح وجعل لكم أدوات تجعل هذه الروح في سمو واستقرار، وجعل لكم ماذا؟ {السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ والأفئدة}، فإذا استعملنا السمع والأبصار بصورة سليمة لصالح ملء القلب باليقين، ماذا يحدث للروح؟ تسمو!

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8)}[6] هنا الكلام حسيًّا عن الجسد

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}[7] هنا الكلام عن الروح التي دخلت في الجسد، ثمّ عدنا مرة ثانية إلى الجسد:

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}[8] لمَ السمع والأبصار والأفئدة مع الروح؟ لمَ لم تكن الآية جعله من سلالة من ماء مهين وجعل له سمع وأبصار؟ لمَ قال: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ}؟ السبب أن السمع والأبصار والأفئدة ماذا تفعل في الروح؟ تسمو بها، تهديها الصراط المستقيم، فكما أنّ البدن دائمًا يحب أن يسير على الصراط المستقيم ولا يحب الضياع، كذلك الروح لا بد أن تسير على الصراط المستقيم، فما الذي يعينها على السير على الصراط

---

[6] () [سورة السجدة: 7-8]
[7] () [سورة السجدة: 9]
[8] () [سورة السجدة: 9]

المستقيم؟ أنها تسمع جيدًا وتبصر جيدًا، وتُوقِع هذان الأمران في القلب، ربنا هكذا خلقنا.

عاقبة من لا يقرأ

لننظر إلى الذي لم يستفد، ولم يقرأ ببصره ولا بسمعه-ولا تنسوا أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يقرأ بعدما يُلقّن أي: بعد ما يسمع، سنرى هؤلاء الكفار يرون أنّ الموت نهاية العالم ولا يمكن أن نعود في خلقٍ جديد، لم يستفيدوا مما يسمعونه ومما يبصرونه، فهم لم يقرؤوا العالم كما ينبغي، متى تبيّن لهم؟ انظر (الآية 12): {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ}، ماذا يقولون؟ {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[9].

تبين لهم في توقيت غير مناسب، حيث يقولون: إنهم الآن تيقنوا، فيقولون: نعم، رأينا الحقيقة سمعنا الحقيقة، أبصرنا بأبصارنا سمعنا بآذاننا أيقنّا بقلوبنا...

---

[9]() [سورة السجدة: 12]

كان من المفترض أن تقرأ كل شيء في الكون قراءة صحيحة بسمعك وبصرك، ليمتلئ فؤادك يقينًا، وحتى نتأكد أنه من المفترض أن نقرأ كل شيء في الكون بصورة جيدة، لننظر آخر السورة، آية (٢٦) و (٢٧)، عندها سنتأكد أنّ القراءة كان المفترض أن تسير بهذه الطريقة في الحياة، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27)}[10]

{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} أي: أولم يدلهم؟ يهدي لهم ماذا؟ {كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ}، هؤلاء اليوم: {يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} ويسمعون أخبارهم {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ} الآيات تُقرأ، لمن؟ لقوم يسمعون.

---

[10] () [سورة السجدة: 26-27]

(لَآيَاتٍ) قد تقولين: آيات أنا أقرؤها من القرآن، يُقال لك: أخبار الأمم السابقة أيضًا آيات تقرئينها، متى تقرئينها؟ عندما تسمعينها، أصبحت(تقرئينها) تعني: توصل العلم للقلب، تقرئينها، القراءة التي يجب أن تجلب العلم للقلب، والعلم على العلم على العلم يأتي باليقين.

أيضًا الآية التي تليها {أَوَلَمْ يَرَوْا} بأعينهم الآن: {أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} أرض ليس فيها أبدًا أي نبات، يسوق الله إليها الماء وأنت تراه ثمَّ ماذا يحدث؟ {فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ}[11])

يعني أنت عندما ترى هذا المشهد، كأنه يُقال لك: كيف تقرؤه؟ تقرؤه بالطريقة التي توصلك لليقين، هذه القراءة المطلوبة، وأيُّ قراءة غير هذه لا تهدي أصحابها إلى الصراط المستقيم، طريقة القراءة التي نريدها هي التي عند نهايتها أنظر إلى النتيجة ثمّ أفكّر

---

[11]() [سورة السجدة: 27]

في كل الآليّات الأخرى، فتكون النتيجة أن تقرأ فتوصلك القراءة لليقين، لا أن تقرأ الذي يشتتك عن باب رب العالمين.

ماذا أريد من هذه القراءة؟ عندما تحدث فوضى فكريّة ثمّ أقول لك: أنا لا أدري، ثمّ تكتب واحدة وتوقّع عن نفسها: (فتاة الشك)، والثاني يكتب عن نفسه: (رجل الـــ (لا أدري) لمَ؟ فكأنك في هذا الموقف تقولين: جزاكم الله خيرًا لا تقرؤوا، لا تقرؤوا إذا كانت القراءة توصلكم إلى هذا في النهاية!

فماذا أريد بأداة تفسد أبناءنا في النهاية، لكن هي في الأصل ليست مُفسدة، هي أول أمر أُمر به النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأول ما نزل به جبريل-عليه السلام-، لكن المشكلة أننا لسنا متفقين على: ما هي القراءة؟ فهذا يجعل هؤلاء يقيمون مارثون القراءة، وهؤلاء يقولون للناس: كم عدد الكتب التي قرأت؟، وهذا يقول لك: كم كلمة قرأت في اليوم؟

ليس هذا هو المطلوب، هذا جزء من المطلوب، ولابد أن يكون بتقنيات وفنيات عالية حتى يأتي بالنتيجة، ونحن سنتفق على مجموعة قواعد، كيف أنه تحت كل فكرة فكرة؟ كم ترك الأول للآخر؟ كيف تنتج المعرفة معرفة؟ كيف تكون القراءة مصدرًا لكل هذا الذي نريد، لكن ليس بالطريقة التي يناقشونها.

هكذا اتفقنا على أول مشكلة دائمًا نواجهها: أننا نختلف مع كل أُطروحات القراءة في: ما هي القراءة؟، وسورة السجدة أكدّت أنّ القراءة ستكون مسموعة ومُبصرَة سواءً أبصرتِ الحروف وتهجيتها أو أبصرتِ الكون وقرأته، أو أبصرتِ وجوه الناس وتفرستِها، وعندما نقول: العرب لديهم فراسة، ماذا يعني ذلك؟ يعني يقرؤون الأحداث بصورة مُتقنة تدلهم على الحقيقة.

فراسة العرب قراءة

مثلًا الآن وهو صغير تعلّم هذه الفراسة، تعلّم هذه القراءة، كيف؟ يكون في الصحراء مع الجِمال، ويرى الجمل الثقيل

المُحمّل بالماء كيف تكون وطْأَته في الرمال، ويرى الجمل المُحمّل بغير الماء كيف تكون وطْأَته، ويرى الجمل الخفيف كيف تكون وطْأَته، ويرى الجمل الأعرج كيف تكون وطْأَته في الأرض، ويقرؤونها كلها، ثمّ يأتي أحدهم ويقول له: انظر أين ذهب جملي؟ فيسأله: هل جملك مُحمّل بالماء، أم مُحمّل بغيره، خفيف، أعرج؟ ما شكله؟ فيذهب إلى الأرض ويقرؤونها ثمّ يقول له: اتجه هنا أو هنا أو هنا...هذه الفراسة، قرأ بصورة صحيحة ثمّ أصبح يقرأ نفس الموجودات.

عالم القراءة واسع

ستجدين أنّ القراءة عالمها واسع، انظري كيف أن الأم عندما تعرف أبناءها وبناتها جيدا-كل واحدة في بيتها-ثمّ يدخلن من الباب، فتقرأ وجه هذه أنها حزينة بسبب زوجها، ووجه هذه أنها فرحة، ووجه هذه أنها تشتهي شيئًا جديدًا، نعم، هذه قراءة وفيها نوع من الذكاء يُسمى الذكاء العاطفي، فهذه كلها أنواع من

القراءة، ما بالنا نتجاهلها كلها ونقول: إننا جماعة لا تقرأ؟ طبعًا سيأتي كلام أعظم من هذا، سيأتي أننا الوحيدون الذين نقرأ كتابا مقدّسا، له القدسيّة التامة ومن ثمّ لابد أن نستخدم هذا في إنتاج المعرفة، المشكلة التي نعاني منها أننا ينبغي ألا نقرأ بطريقة التهجئة، يعني نتهجّى الحروف ونرى أنفسنا قارئين، وحتى لو قرأنا القرآن وقرأنا غيره بطريقة التهجئة سنبقى في مكاننا ولن نتغيّر، وليست هنا شكوانا ولا بلوانا، إنما بلوانا أننا لا نعلم سعة معنى القراءة!

هكذا اتفقنا الحمد لله على المسألة الأولى وهي معنى القراءة.

الآن ننتقل للمسألة التي تلحقها، إذا كانت هذه حقيقة القراءة **فما الغاية من القراءة؟**

موضوع القراءة موضوعًا مهمًا، ونحن ما تحدثنا فيه إلا بسبب المصائب التي جاءت من وراء القراءة، كالفوضى الفكريّة

والشتات وجماعة الـ (لا أدري)، وجماعة الإلحاد، وجماعة الشك، وكل هؤلاء خطفتهم القراءة غير الصحيحة.

الآن سنتحدث عن الغاية من وراء القراءة، لماذا يجب أن أقرأ؟ بعد أن اتفقنا في تعريف القراءة، أنّ هذه القراءة التي تقرؤها بأي أداة بسمعك وبصرك لابد أن توصلك إلى العلم، إذًا الغاية من القراءة هي العلم الذي يُسبب النجاة، أريد أن أقرأ الشيء الذي يسبب لي النجاة، قد يقال: أنا أنجو بالصلاة والصيام، هذا صحيح لكن الصلاة والصيام ستكون تعبير (فعل تفعله) نتيجة ما يجول في قلبك من اعتقادات، يعني أنت تصلي وقد تعلمت من هو الله، تصوم وقد تعلمت عظمة الله، فالمفترض أن تفعل بعدما امتلأت علمًا، هذا إذا أردنا أن يكون إيماننا صحيحا ثابتا لا إيمان العادة والمَرْبى والإِلف، فإيمان العادة والمَرْبى والإِلف الناس فيه يقلّدون بعضهم بعضًا، نحن نتكلم عن الإيمان الذي ينجي صاحبه،

الإيمان الذي قالت الجنّ فيه: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}[12] ماذا فعل بهم عندما سمعوه؟ هم الآن يقرؤون، قالوا: {سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} أهم شيء فيه أنه: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}[13].

ثانيًا: الغاية من القراءة

لمَ يجب أن تقرأ؟ يجب أن تقرأ لتهتدي، ولا تنسوا إنّ هذا المعنى الواسع للقراءة، يجب أن تقرأ لتهتدي بالتفصيل، الذي يقرأ الكون جيدًا يهتدي منه وربنا! الذي يقرأ الكون جيدًا يزداد يقينًا بما يقرأه في القرآن، يعني أنتِ في القرآن تقرئين الحروف وفي الكون تقرئين أفعال الله، ما النتيجة؟ اليقين، وهذا الذي نريد الوصول إليه: أتعلّم، أقرأ؛ لأهتدي هذا هو المهم، وهذا الكلام يحتاج إلى مزيد من التفصيل، وهذا يجعلنا نقول: هؤلاء أبناءنا

---

[12] () [سورة الجن: 1]
[13] () [سورة الجن: 2]

ممتلئين قوة وطاقة، بل نحن وأبناؤنا ممتلئين قوة وطاقة، فلا بد أن يسيروا في هذه المسألة على الصراط المستقيم، وإلا ستتخطفهم الشياطين؛ ولذلك أعيد عليكم أنّ فهمنا لموضوع القراءة ليس ترفًا فكريًا، لسنا هنا لنتكلم في موضوع غير مهم، أنتم لو رأيتم آثار هذه القراءات، ومعارض الكتاب في المملكة وغيرها تبين لكم هذا الأمر، كيف يجتمعون هكذا؟ تجدين معرض الكتاب الكبير الطويل العريض، فيه كتب قيّمة ليس بجوارها أحد، وعند الروايات والفلسفات منكبين عليها! هذه دلالة واضحة، الذي يقرأ هذا المشهد يعرف ماذا يعني ذلك بعد عشر سنين وأقل كيف سنكون، ونحن مشكلتنا أننا سريعو التأثر حتى في أقل من عشر سنين، من الممكن أن تنقلب الدنيا علينا، وكل الثوابت تصبح ليست بثوابت وكل المقدسات تصبح ليست بمقدسات، وأنا أود منكم أن تفكروا في مثل بسيط جدًا وسيتبيّن لكم.

هذا الطفل الصغير وهو يشاهد أفلام الكرتون ويجد أنّ هذه الشخصيات الكرتونية تعزم على شيء تقول: سأفعل، ولا تقول: (إن شاء الله)، ويأتي في نهاية القصة أنها فعلت ثمّ يسمع من هنا ومن هنا، أول مشاعر تأتيه أنه ليس شرطًا أن يقول: (إن شاء الله) حتى يحصل؛ لأنه هو يقرأ الحدث في الفيلم ويفهم أنّ الشخصية الكرتونية استطاعت أن تُنجز بدون أن تقول: (إن شاء الله)، فالمقدّس عندك هو ما يقرؤه مقدّسًا، لا ما ليس له داع.

إضافة إلى عملنا الشائن في كوننا نجعل (إن شاء الله) كلمة للتعليق وليست للتحقيق، لكن هذان مسألتان منفصلتان، الأولى: نحن نخطئ في كلمة (إن شاء الله) فنجعلها كثيرًا للتعليق، فعندما يقول لك: سنخرج وأنتِ لا تريدين الخروج، تقولين: (إن شاء الله)، فصارت للتعليق وليست للتحقيق، هذه مشكلة، وهناك مشكلة أخرى: أنّ المقدسات التي لديك، الطفل يقرؤها في مشاهد أفلام الكرتون ليست مقدّسات، ففي النهاية سنصير في بون شاسع نحن

في مكان وهو في مكان؛ لأن المقدّس عندنا ليس مقدّسًا عنده، طبعًا هذا من أثر القراءة...المقدّس لا يصبح مقدّسًا.

كذلك المحرم من أعراض المسلمين وكل ما تتصورينه والخمر، كيف عندما يقرأ يُوصف له بدقة أنه استمتع به، أو بدقة أنه استمتع بالمرأة، ما الذي سيبقى في مكانه؟ ماذا من قيّمنا سيبقى في مكانه؟ أبدًا لن يبقى شيء في مكانه، فمعناه أننا أمام خطر عظيم لذا لابد أن تُوجّه المسألة ونفهمها جيدًا، ونطالبه بالقراءة لكن القراءة التي تسبب له العلم والحصانة الفكريّة ما تسبب له الفوضى، حتى مشاعره اليوم بسبب فوضى القراءة، لا تستقيم على شيء، مثلا: الآن تقرئين حدثًا مثلًا أنه حصلت أحداث في العالم الإسلامي وحصل كذا وحصل كذا، ثمّ تستطيعين أن ترينه في مشهد وقلبك متأثّر، ثمّ الصفحة التي بعدها تقرئين عن لاعب كرة أو أحد الساقطين حصل له كذا وكذا، وتقرئين عن...تتصفحين وتقرئين وتعطين عقلك مجالا أن يقرأ، فتصوّري

كم من اضطراب شعوري سيصبح عندنا؟ قد تقررين أنتِ ألّا تقرئين كلامًا فارغًا، لكن الصغير لا يفعل ذلك، سيقرأ وتنتقل مشاعره من هنا ومن هنا إلى أن يُجهّز أن يكون منافقًا، يعني للتو مشاعره حزينة، للتو مشاعره مع الهواء، الآن مشاعره مع كذا، يتقلّب لا يدري أين هو، فهذه كلها أخطار؛ لذا لابد أن نرجع ونعرف الهدف من القراءة، حتى عندما نحثّهم على القراءة، ليس فقط سنقنن لهم القراءة ونضع قيّم القراءة-هذا من ضمن صناعة القراءة أن نضع قيّمًا للقراءة-لابد أن يكون لديك قيّم وأنت تقرأ، لكن ليس فقط أن نحثّهم على نوع القراءة ولا على قيمها فقط، لا بل على المطلوب من القراءة، ما الذي تريده من القراءة؟ تريد أن تصير شخصًا متيّقنًا، فمعناه أن هذا الشخص مع الأيام والخبرة والعلم وفتح الله عليه سيصل إلى حالة يصبح كل ما يقرؤه يزيده يقينًا؛ لأن عينه ترى بطريقة معينة عندما يرى هؤلاء يهلكون...

القراءة توصل لليقين

لنفترض أنه قرأ خبرًا عن أعظم قفزة في العالم، وأنه ذهب أحدهم وصعد إلى قريب الطابق كذا وكذا، ورمى نفسه وقفز، هذا الخبر يجعله يستعجب جدًا، كيف أن هؤلاء أرواحهم ليست غالية لديهم، وأنه لو مات هذا ماذا سيُعتبر، سوء خاتمة أم حسن خاتمة؟ يجعله يفكّر، يقرأ الحدث بطريقة صحيحة، هل هذا شجاع؟ هل هذه هي الشجاعة؟ هل هذا ما نحتاجه؟ سيسأل نفسه ويقيّم الحدث، ويقرؤه كما ينبغي، يقرؤه ليهتدي، لكن هذا ليس من أول الأمر لابد أنّ يكون لديه قراءات مهتدية كثيرة حتى يصل في نهاية الأمر إلى أن يقرأ الأحداث كما ينبغي.

إذا ما هدف القراءة؟ ما الغاية التي من أجلها لا بد أن أقرأ؟ سنقرأ حتى نزداد إيمانًا، نقرأ لأجل أن نصل إلى اليقين، نقرأ لأجل أن نحفظ نعمة الله علينا، فعندما تقرئين تستخدمين حواسك فقراءاتك من أنواع الشكر، ونحفظ نعمة الله علينا، بعطيّته لنا في الفهم وعطيّته في القدرة على القراءة وعطيّته في العقل السويّ،

إلى أن أصل إلى غاية بعيدة جميلة جدًا من الآمال التي نتأملها إننا نقرأ المعرفة لننتج معرفة، هذا أمل بعيد وسأسبح فيه قليلًا، ثمّ أرجع للواقع.

المعرفة تنتج معرفة

فنحن نقرأ حتى نزداد إيمانًا ونزداد انتفاعًا بما رزقنا الله، نزداد يقينًا إلى أن أصل إلى أن أقرأ المعرفة لإنتاج المعرفة، هذه طبعًا عندما يتقدّم الإنسان، نتناقش في هذه النقطة قليلًا ثمّ نعود مرة أخرى إلى الأصل الذي نتكلم عنه، ما معنى أنّ المعرفة تنتج معرفة؟ سنشتكي أولًا حالة نحن نمر بها، تجد في الواقع الآن أمورًا كثيرة تحتاج إلى من يتصدّى لها، فمثلًا ظهور التوحّد، وصعوبات التعلّم، والإعاقات العقلية، وظهور الأمراض النفسية، هذه كلها ظواهر موجودة اليوم ولم تكن بالأمس موجودة؟ لن نجد عند من سبقنا تفاصيل للذي نعيشه، فماذا يفعل الناس؟ يُعرضون عمّن سبقنا، ولا يرون أنهم أمام ميراث لو فتشوه وقلّبوه سيجدون

ما يريدون، ثمّ يضربون صفحًا عن ميراثنا وعن كلام علمائنا ويشرّقون ويغرّبون، ويستوردون الأفكار، وعندما يستوردونها لا تكون على مواصفات تصلح للمسلم، فماذا يفعلون لحل المشكلة؟ يغيرونه هو حتى يأتوا بحل يلائمه، ويفهم كلامي الذي له أُطروحات الحلول في التوحّد والإعاقات العقلية، فيحاولون تغيير الفطرة السويّة حتى تلائم هذه الحلول التي يطرحونها، ليس لهم نماذج يتبعونها إلا الكفار، فيأخذون من كلام الكفار ويضعونه كما هو، هذا ليس هو الحل أبدًا، صحيح أننا لن نجد في كلام من سلف أنّ المرض الفلاني النفسي حلّه كذا والمرض الفلاني النفسي حلّه كذا، لن تجده بالحروف، لكن أنت تتعلّم تتعلّم تتعلّم المعرفة إلى أن تنتج هذه المعرفة معرفة جديدة، إلى أن تقرأ كلام الله في وصف الإنسان وطباعه، وتقرأ كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-في الفطرة السويّة، وتقرأ العلماء فيما يقولون عن الفطرة، وتقرأ وتقرأ وتفهم هذا جيّدًا وبعمق، ثمّ أنت أيها المسلم يا من تمتلك

العقل-عقل الرشد-تأخذ هذا النِتاج المعرفي الذي سبقنا وتنتج معرفةً جديدة، تنتج معرفة جديدة وأنت ضارب صفحًا تمامًا عن الشرق والغرب، أنت من الميراث تُخرج معرفة جديدة، تخيلوا لو أخذتموها بصورة حسيّة، هذا ورّث أبناءه مصنع طوب، وهم فيهم من النباهة والذكاء ما جعلهم يأتون للميراث نفسه، المصنع كله كما هو، وبأدواته وكل شيء وقالوا: الناس اليوم ليسوا بحاجة إلى الطوب، لكن نفس هذه الأدوات والمواد سننتج لهم شيئًا آخر، يقومون بتعديلات، فينتجون شيئا آخر ويدخلون في تجارةٍ جديدة.

المقصود: أنّ المعرفة من المفترض ماذا تفعل؟ تنتج معرفة، أبدًا لسنا بحاجة إلى أن نتعالج في الأمراض النفسية التي أُبتلينا بها في العصر الحالي، هذا البلاء من الله لسنا بحاجة إلى أن نأتي بنظريات شرقية وغربية حتى تحل المرض النفسي، النفس التي هي أصلًا قربة إلى الله، النفس التي طريقها أن تتقرّب إلى الله، ثمّ أعالجها بأفكار تقول: تجرّد من الدين، يعني لا إسلام ولا نصرانية

ولا يهودية ولا أي شيء، لا تلبس أي شيء يدل على اتجاهك الديني-لهذه الدرجة-، يعني أعالج النفس التي خُلقت لعبادة الله على يد مثل هؤلاء؟ يكون محرم عندهم الكلام عن الدين، يقولون: والله ليس لدينا حل، من قال لك: ليس لدينا حل، اقرأ في كلام الله، في كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم- اقرأ في ميراث العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، اقرأ اقرأ اقرأ إلى أن تخرج من المعرفة بمعرفة، وهذا الذي ينبغي أن نقوله لأنفسنا ولأبنائنا، أننا نستطيع أن ننتج لكن بالتوقيت المناسب، ليس وأنت صغير هكذا لا تدري عن الدنيا وتقول سأخترع وأخترع، لا، أنت تتعلّم وتقرأ إلى أن تصل إلى هذه النتيجة.

المقصود: ونحن في طريقنا للقراءة نريد أن يدخل إليهم الاعتزاز، فكم ترك الأول للآخر؟ هؤلاء لا يعلمون كم تُرك من العلم، ثمّ يغرّهم ماذا؟ أكثر الكتب مبيعًا أكثر الكتب كذا، إلى أن نصل فنصطدم بأنهم يقرؤون ما يهدّ عقيدتهم.

قراءة تهدّ العقيدة!

انظري كيف أنكِ طوال الوقت تقولين له: آمن بالقضاء والقدر، هذا قدرنا، الله قدّره علينا، يجب أن تتعامل مع القدر بما تستطيع، فبعد كل هذا الكلام الذي قلته يذهب ويشتري كتاب ب ١٥ أو ٢٠ ريال، فيه ما يسمونها بنظرية الجذب أو سر الجذب أو كلام مثل هذا، ما معنى هذا؟ معناه أنك تستطيع أن تجذب الأقدار التي تريدها، بهذا السعر الزهيد يقرأ ما يهدم كل ما بنيتِه، أهذا خطر أم لا؟ لذا هو ينبغي أن يعلم أنّ هذه القراءة تهد العقيدة.

في نهاية كلامنا نقول: إن هذه القراءة ينبغي أن توصلني إلى أن أكون رشيدًا، الرشد الرشد، والمشكلة التي نعاني منها أنّ الرشد ليس مطلبًا عندهم، هم لا يشعرون أنهم ينبغي أن يكونوا رشيدين، تاركين أنفسهم يطيشون كما يريدون، فكان المطلوب منا أن نقول لهم: اهتم بالرشد، اجعل الرشد مطلبًا لك، انظر إلى الفتية الذين خرجوا من ديارهم، الفتية أصحاب الكهف، ماذا كان مطلبهم؟

الرشد، يريدون من ربهم أن يرشدهم، يُلهمهم الرشد، فهذا مطلب عظيم، المفترض أنّ الإنسان يقرأ كل الكون، يقرأ كل شيء حوله لكي يصل إلى الرشد، وكأننا نقول: إنّ القضية أصلًا أنّ هذه القراءة ستوصلني إلى القيام بوظيفتي، وظيفتي أن أُرشَد إلى الطريق الذي يُوصلني إلى الله، هذه قضيتي!

هكذا أجبنا على سؤال يقول: لمَ يجب أن نقرأ؟ حتى نقترب من الرشد، كل التفاصيل التي سبقت هذا مختصرها، يعني أنت ينبغي أن تقرأ قراءة صحيحة حتى تقترب من الرشد، وإذا أردت أن تشرحينه لأحد قولي: انظروا كيف أن الفتية أصحاب الكهف قرؤوا الكون كما ينبغي قراءة صحيحة، فخرجوا بنتيجة قالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[14])

كيف وصلوا إلى هذا؟ قراءة صحيحة للكون أوصلتهم إلى أنه لابد أن يكون الذي ربّانا هو رب الكون، وهو الذي يستحق أن

---

[14]() [سورة الكهف: 14]

يكون إلهًا، إذًا معناها أنهم يرون الأشياء ثمّ يقومون بعملية ثمّ يخرجون بهذه النتيجة، الآن ننتقل إلى المفهوم الذي يليه، وهو شيء مهم جدًا يتصل بالصناعة.

ماذا بعد القراءة؟

أنت الآن بسمعك وبصرك ماذا تفعل؟ تترجم ما حولك ويدخل إلى القلب، بقي أنت، ماذا تفعل مع ما قرأت بأي صورة من القراءة؟ أكيد أنّ الذي ستفعله مع ما قرأته هو التفكير، يعني نحن كأننا نمر بثلاث مراحل مختصرة: نقرأ بأي صورة من القراءة، نفكّر فيما قرأنا، ثمّ التفكير يُوصلنا إلى الرشد-المفترض أن يحدث ذلك-.

فلدي مشكلتان حتى أصل إلى الرشد: إمّا قراءة غير صحيحة للكون مثلما قرأنا في سورة السجدة، فهؤلاء الذين قرؤوا الكون

بطريقة غير صحيحة ماذا فعلوا؟ قالوا: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}[15].

يعني كيف قرؤوا؟ عيونهم ماذا رأت؟ حفرت مقبرة، رأت الميت قد ذهب، رأوا أنه سيضل في الأرض أي سيختلط بالتراب، قراءتهم لهذا الحدث خرجوا منها بنتيجة فكروا فقالوا: ما الذي يردّ هذا؟ انتهينا لن نرجع، هكذا فهموا أنه لن نرجع، إذًا أين مشكلتهم؟ هم قرؤوا الحدث، لكن لم يفكّروا بالطريقة الصحيحة، إذًا قد نجتمع في نفس القراءة ونختلف في الرشد الناتج عن القراءة.

القراءة والرشد

الناس يختلفون في الرشد الناتج عن القراءة ليس فقط كما بين السماء والأرض، بل كما بين قاع الأرض وأعلى السماء، لماذا؟ تقرأ أنت وهم الحدث الواحد وأنت تقول: هذا يدل على أنّ الله يدّبر الأمور، هم يقرؤونه يقولون: أين الله من هذا الذي يحصل

---

[15] () [سورة السجدة: 10]

في العالم الإسلامي؟ فنحن نقرأ الحدث معًا، لكن أنت تترجمه بتفكيرك الذي عنده قواعد، وهو ليس لديه قواعد فيترجمه بطريقته، أنت تقرأ حدث المقبور الذي أصبح لا شيء كما أخبرنا الله :{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}[16] ما معنى ذلك؟ المعنى أنك في الأصل لن تظل في الأرض، فروحك أخذتها الملائكة وذهبت بها، هذا تفكيرك في الموقف الذي حدث، أن بدنك الذي هو مجرد أداة قد ذهب، الله سيرده، وروحك التي هي موضوعنا الله حافظها، هكذا أنت تفهم، هو يرى نفس الحدث لكن يقرؤه بطريقة مختلفة؛ لذا عندما قالوا: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}[17] رد عليهم ربنا-سبحانه وتعالى-:{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ}1 فأنتم لم تفهموا القصة، الذي رأيتموه وترجمتموه لا يدل على صحة ما وصلتم إليه، سنأتي هنا إلى الإشكالية المهمة، نحن نريد أن نقرأ حتى نصل إلى الرشد، هل الاتفاق في

---

[16] () [سورة السجدة: 11]

[17] () [سورة السجدة:10]

القراءة-نقرأ نفس الشيء بأي طريقة-يوصلنا كلنا إلى نفس الرشد؟

الجواب: لا، أحيانًا يوصل الذين يقرؤون معكِ إلى قاع الأرض، يجعلهم يذهبون يمينًا ويسارًا، وأحيانًا يوصلهم إلى الرشد، لكن ليس إلى الرشد الكامل، بل جزء من الرشد، وهكذا يتدرّج الناس في الرشد، حتى أن الكلام الذي نسمعه اليوم نفسه الذي سمعه الصحابة من النبي-صلى الله عليه وسلم-، فأوصلهم إلى أعالي الجنان، ونحن نسمع نفس الكلام الذي قرأه النبي-صلى الله عليه وسلم-على أصحابه لكن النتيجة تختلف، فبأي صورة وقع الصلاح الصحابة؟ أليس بالقرآن؟ سمعوه وقرؤوه، ونحن نقرأ القرآن لمَ النتائج مختلفة؟ بسبب التفكير، أو الخلل في هذه الدائرة: الفهم والتحليل والوصول إلى نتائج وقراءة ما قرأتِه بصورة صحيحة، وهذا الذي أحدث فجوة بيننا وبين أبنائنا، فأنتِ كبيرة ومرت بكِ مواقف فأصبحت تقرئين الأحداث كما ينبغي، تقولين: هذا من لطف الله، هذا من جبر الله، هكذا تنسين أحداث مرت بك، ثمّ

يقولون: لا يا أمي لأنك طيبة، أما أنا إن حدث لي ذلك فلن أنسى، تقول له: أنت لا تفهم، فإن الله يجبر الناس، ومن جبره أنه يمحو ما في قلوبهم، من جبره أنه ينسيهم، فهو يقرأ الحدث الذي وقع عليكِ بطريقة غير صحيحة، وأنتِ تفهمين فتقرئينه بالطريقة الصحيحة، وهذه المشكلة التي نعاني منها؟ هذه المشكلة التي نريد أن نناقشها ونستمر في مناقشتها، يعني المفترض غدًا-إن شاء الله-نأتي بنموذج من كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-ونبدأ نحلله، كيف يُقرأ كلام مثل هذا؟ ما الذي أوصل به؟ ما ظلاله التي ينبغي أن تكون في نفسي؟ كيف أفكّر فيه؟ سأضرب مثالًا ثمّ غدًا يأتي التحليل كاملًا.

نموذج للقراءة الصحيحة

سمعنا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، النبي الكريم الذي صبر، وكيف أنه يكون ساجدًا يعبد ربه أمام الكعبة، وينبعث أشقاهم من

قريش ويأتي بأوساخ وقذارة الناقة-أحشائها-ولكِ أن تتصوري أحشاءها كيف ستكون، ثقيلة، مليئة بالقاذورات.

والنبي-صلى الله عليه وسلم-ساجد يعبد ربه، لم يؤذهم لم يقربهم، لكنهم يكرهون، {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[18])

ويضعه على رأس النبي الكريم، فلكِ أن تتصوري كيف سالت هذه الأوساخ على ظهره الشريف وعلى وجهه الشريف وعلى بدنه الشريف، أعطي نفسكِ فرصة أن تفكّري جيّدًا، ثمّ تُخبر فاطمة-رضي الله عنها-، ثمّ تأتي كما جاء في القصة...

الحدث يُقرأ بصور مختلفة: كم صبر النبي-صلى الله عليه وسلم-؟ كم صبر؟ مثل هذا الحدث يثير في النفس الحقد على من يفعله، فلمَ الإهانة وهو لم يفعل لهم شيء، وهو يعبد ربه! ولم الإهانة وهم يعظّمون البيت! ماذا فعل ليحصل هذا الاعتداء؟ ثمّ الشيء الأعجب الذي تقرؤه في الحدث أنّ النبي-صلى الله عليه

---

[18]() [سورة التوبة: 32]

وسلم-له مكانته عند ربه، ومع ذلك حصل عليه ما حصل، وما منعه منهم أن يتسلّطوا عليه، ما معنى هذا الأمر؟ يعني أنّ الأنبياء والصالحين من بعدهم يتسلّط عليهم أهل الشر، فعندما يأتيهم شر من الخلق لا يعني ذلك أنهم ليسوا على الصراط المستقيم.

تقرئين الحدث بصورة أخرى: ما أحب الصبر إلى الله! ما أحبه إلى الله! انظري كيف كان يحب من النبي-صلى الله عليه وسلم-أن يصبر.

تقرئين الحدث بصورة أخرى: أنه كيف أنّ ابنته فاطمة-رضي الله عنها-أتت وحملت عنه، وكيف أنّ الله-عزَّ وجلَّ-يسخّر لعباده المؤمنين من يزيل عنهم أرجاس القوم، حتى لو أُبتلي يُفرَّج عنه، وأن مثل هذا يكون حدث عابر يزيد منزلته ولا يُنقصها، وهؤلاء الكفار بعدما حصل ذلك للنبي-صلى الله عليه وسلم-كانوا يضحكون، والذين ضحكوا كلهم قُتلوا في بدر، أراه الله-عزَّ وجلَّ-آية النصر-والحدث يُقرأ بطرق أعمق من هذا-شاهِدِنا أنكِ

عندما ستقرئين حدثًا إذا بقيتِ عند حروفه لن يُوصلك إلى الرشد أبدًا، إذا قلّبتِه جيدًا ورأيتِ ألفاظه ومعانيه وأبعاده، ستكون هذه القراءة التي توّصلك إلى الرشد.

ماذا حدث معنا بشأن القراءة؟

حدث معنا أننا نقرأ التوحيد في البيت لأنه مُقرر التوحيد، نقرأ الحديث في البيت بسبب مقرر الحديث، ماذا يحدث؟ نسمّع مَن الراوي؟ ما معنى الكلمة الفلانية؟ ماذا تستفيد من الحديث؟ انتهينا الحمد لله، ما أفسدها من قراءة هذه! ما أفسدها! حتى عندما يكبر يقول: أنا كان عندي أشياء كثيرة حول هذه التي قرّأتموها، والآن أنا-أقصد اليوم الشباب الذين ضلوا عن الطريق-يقولون: نحن عندما كنّا ندرس الدين، والله لا نعلم ما نقول، فيه أشياء كثيرة نحن معترضون عليها، معترضون عليها؟؟ لم يسمعهم أحد ولم يفهّمهم أحد، هم لم يستطيعوا أن يسألوا لأنه أصلًا لم يصبح من اهتماماتهم، فكلها أزمة، فعندما يأتي أحد ويقول: نريد أن نقرأ،

نقول: نعم، اقرأ لكن اقرأ ما يجب أن تقرأه، واقرأ بالطريقة الصحيحة، واقرأ لتصل إلى الرشد لا أن تصل إلى الضياع، لا نريد قراءة توصلنا إلى الضياع، يعني لكِ أن تتصوّري لو أنّ هذا الشاب الصغير وقع بين يديه كتاب يتكلّم عن الخلاف بين الصحابة، سواءً سمع أو قرأ بعينه، وهذه كلها تُعتبر قراءة، ماذا سيحصل؟ ماذا سيكون في قلبه على الصحابة؟ سيشحن عليهم ولن يراهم قدوات، وعندما يذكرهم أحد لا يجد في نفسه رغبة في الترضّي عنهم، ويصبح بعيدًا تمامًا عن الرشد، مع أنّ عقيدة أهل السنَّة والجماعة عدم الخوض فيما شجر بينهم لا بالقراءة ولا بالسماع، ومعنى ذلك أنّ الطريق السليم للوصول ليس هذا الذي تخبّطوا فيه، نقرأ لنصل إلى الرشد، ولنصل إلى الرشد لابد من طريقة صحيحة للتفكير فيما نقرؤه لتقليب ما نقرأ.

قراءة الحدث

حديث الحسن-رضي الله عنه-وهو يروي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-دعاء القنوت، وكيف أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم-علّمه ما يقول في الوتر، والحسن حينما توفي النبي-صلى الله عليه وسلم-كان عمره ٨ سنوات، إذًا النبي-صلى الله عليه وسلم-خاطبه وعمره أقل من ٨ سنوات، هذه القراءة ماذا تقول لكِ؟ تقول: دعاء كل الأمة تقوله في القنوت، وكل من يصلي الوتر يقوله، يصل إلى الأمة عن طريق صغير؟ شيء عجيب!

إذًا القراءة تقول: الصغير يتحمّل، الصغير يصل إليه العلم، الصغير يُخاطب بهذا، الصغير عليك أن تجعل هذه المفاهيم مهمة عنده، كل هذه قراءة وتفكير، فالمعرفة هذه تأتي بمعرفة، أنا لست بحاجة إلى نظريات الشرق والغرب، فقط تعال واقرأ ما هو موجود في كتاب الله وفي سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وكيف كان يُخاطب الصغار، وحلل هذا وأنتج من ورائه معرفة، توصلك إلى الرشد.

لكن، **كيف تفكّر فيما تقرأ؟** هذه المشكلة، فإذًا من الذي سيكون رشيدًا؟ الرشد محصور فيمن يصح تفكيره في المقروء، أنت لابد أن تقرأ، اقرأ الكون، اقرأ كلام الله، اقرأ كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-واقرأ كلام الأعداء لكن في نقاش معين، وهذا الذي يسمونه (محدوديّة الاطلاع)، اقرأ كلام الأعداء انظر كيف يبغضوننا انظر ما هو الواقع في قلوبهم، انظر إلى شبههم، أنت لابد أن تكون في درجة معينة لتقرأ هذا، اقرأ هذا لتصل إلى الرشد، وعندما تقرؤه فكّر فيه بالطريقة الصحيحة.

الخلاصة:

مررنا بأربع نقاط في النقاشات:

- أول وأهم شيء: ما هي القراءة؟ ونوقش قوله تعالى: {اقْرَأْ} التي أُمر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-.
- ثمّ الغاية من وراء القراءة، وكيف أنّها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، وعلى ذلك يدخل فيها الأميّ والمتعلّم، مادام أن مفهوم القراءة عام.
- ومن ثم أنواع القراءة: ستقرأ الكون، ستقرأ كذا وستقرأ كذا كما اتفقنا.
- ما غاية القراءة؟ الوصول إلى الرشد، وهناك من القراءة إلى الرشد مسافة، ما الذي يحكمها حتى أصل من القراءة إلى الرشد؟ التفكير السليم.

وأنّ القراءة الجيدة هي التي توصلنا إلى إنتاج المعرفة، تقرأ المعرفة وتصل إلى المعرفة، لكن في النهاية ستصل إلى أي شيء؟ ستصل إلى الرشد سواءً أنتجت المعرفة أو فهمت المعرفة، يعني أنت تقرأ لتتقدّم وتنتج المعرفة، وينبغي ألا نستقّل عقول أبنائنا، لا عقولنا ولا عقول أبنائنا، المفترض أن ندّربهم على استنتاج المعرفة.

أنت تؤثر في القراءة

الآن نختم كلامنا وغدًا نبدأ بالتنفيذ، نريد أن نتفق أنّ كل المعلومات التي نسمعها تبعث في أنفسنا أفكارًا وخواطرًا، والاختلاف بيننا في الأفكار والخواطر التي تكون حول ما نقرأ، راجع إلى أحوال أنفسنا، فمعنى ذلك أنّ ما نقرأه سيتأثر بأي شيء؟ سيتأثر بالقارئ؛ لأنني أريد أن أصل إلى الهدف وهو أن أكون رشيدة ولابد أن أفكّر لكن ينبغي أن نفهم شيء مهم أنّ ما تقرئينه سيتأثر بكِ، يعني هو سيؤثر عليكِ لكن أنتِ أيضًا

ستؤثرين عليه، كيف ستؤثرين عليه؟ على حسب خبرتك السابقة واتساع عقلك وقراءاتك السابقة، فتفكيرك مهم، كيف تحللين الذي تقرئينه تحليلا صحيحا، وهناك أمر آخر: من أنت؟ ما نفسيتك؟ فحتى نفسيتك تؤثر على المقروء، فعندما يكون مثلا إنسان حسود، يقرأ قيمة الإيثار، فلان آثر عليه فلان، والصحابة، والأنصار آثروا المهاجرين على أنفسهم...وهو حسود طمّاع، ماذا يقول لك؟ يقول: هذا الكلام خيالي مثلًا، لماذا؟ لأنه هو لا يقدر عليه، فعندما لا يقدر عليه ماذا يفعل؟ ينفيه.

أو هو يعيش في عالم مثلًا من خيال الجن، الجن والجن وفعلت وتركت إلخ، ثمَّ نقول له: اقرأ معنا سورة الجن لتفهم من هي، عندما يقرؤها يتفاجأ من الجن وكيف كان موقفهم وكيف كانوا مستسلمين وكيف فهموا وكيف وصلوا...فيصل لأنه كلام الله وهو معظّم لكلام الله، لكنه لا يصل إلى الأعماق لمَ؟ هناك حاجز من معرفته السابقة؛ لذا نختلف في أنّ الكلام الذي نقرؤه يوصلنا إلى

الرشد، ما سبب الاختلاف؟ من نحن؟ إذًا كل مسألة نقرأها تبعث في نفوسنا أفكارًا، لكن هذه الأفكار والصور ترجع إلى ماذا؟ ترجع إلى أحوال أنفسنا، فمعنى ذلك هناك قراءات كثيرة تحتاج إلى تصفية، فحتى تنتفع ادخل وأنت صافٍ، أما إذا دخلت وأنت مليء بأي أفكار سابقة، ستكون النتيجة أنك ستؤثّر على النص ولا تفهمه بالطريقة الصحيحة.

وهناك شيء مهم أيضًا، أنّه لا مانع من الاختلاف في النظر إلى النصوص ونحن نقرأ، لكن هذا لا يعني أن نخرج عن الصواب.

اليوم تحدثنا إجمالًا حول المهم والخطوط الأساسية، وغدًا-إن شاء الله-سندخل في نقاش تفصيلي، نقرأ نص ونحلله ونقول هكذا تصنع قراءتك لتصل إلى الرشد، مع ملاحظة كل الذي اتفقنا عليه، أنه يجب أن نفكّر في الكلام، وأننا نختلف عندما نفكّر بحسب قدراتنا وأحوال أنفسنا، وأنّ هذا لا يعني أنه هناك مانع أن نختلف، لكن لابد أن لا نخرج عن الإطار الصحيح، ولا

نحمّل الكلام خلاف الحقيقة، وهذا سيضطرنا أن نتكلم عن (الحذافيين) وكيف قلبوا معاني الكلمات وأعطوها معاني أخرى وصاروا يتلاعبون ويقولون كلام خارج عن الشريعة، ويقول: أنا لا أقصد، وهذا كله غير مقبول. على كل حال، غدًا-إن شاء الله-نلتقي ونناقش النموذج.

سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. نهاية اللقاء الأول

اللقاء الثاني

محتويات الدرس:

* خطورة فوضى القراءة.
* القراءة حاجة فطرية.
* ما هو مفهوم القراءة؟
* القراءة الصحيحة.
* نموذج من سورة السجدة.
* نموذج من سورة القصص.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله-عزَّ وجلَّ-حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن نكون ممن انتفع بالعلم واستقر في قلبه واستهدى به إلى ربه، فإن هذا في الحقيقة هو مقصد طلب العلم، وكنا قد بدأنا بالأمس في موضوعنا المهم، وهو مهم لأنه:

- إذا لم ينضبط ويمشي على الطريق المستقيم يكون سببًا لتشويش القارئين.
- يفسر الواقع الذي نعيشه من وجود مثقفين الثقافة عندهم تساوي ترك الدين!

تفسير هذه الظاهرة إنما يكون بتفسير النظرة إلى القراءة، يعني نظروا للقراءة بصورة غير صحيحة فسبب لهم أن

تصوَّروا أن القراءة والثقافة تساوي ترك الدين! وهذا سبب مناقشة هذا الموضوع (صناعة القراءة) أي: تصنع هذا الأمر صناعة وتختار منه اختيارا، وتنسج عقلك نسيجًا، وتنظم أفكارك تنظيمًا، فالمسألة ليست متروكة عشوائيًا، ليست فوضى، الفوضى هي التي سببت أن نصل في نهاية الأمر لما ترونه من اتصال:

- القراءة الثقافة الفلسفة
- القراءة الثقافة رفض الدين
- القراءة الثقافة الإلحاد

<u>هذا الشيء الخطير</u>

من قال إن القراءة أن تخرج فيلسوفًا تفلسف الأمور ولا تسلم لرب العالمين، من قال إن هذه هي القراءة، لكن هذه هي الأطروحات الموجودة، أن الناس أصبحت عندهم القراءة تساوي

الفلسفة! والحقيقة أن القراءة تُصنع كما يُصنع النسيج الجيد لأنك عندما تصنع القراءة تصنع عقلك.

لابد كلما التقينا أن نعيد على أنفسنا أن هناك ثلاث مفاهيم مهمة في مسألة صناعة القراءة:

- تحديد ما هي القراءة؟
- السبب الذي جعلنا نتكلم عن هذا الموضوع؟
- كيف أصل إلى هذه الصناعة؟

التكرار هذا يثبت المسألـــة.

أولًا: نبدأ بالاتفاق عن سبب مناقشة الناس في هذا الموضوع، هل لمجرد موضة والناس يخرجون منه بانحراف؟ أو أنه موضوع نحتاجه حقيقة؟!!

بمعنى هل بسبب الفوضى الحاصلة في موضوع القراءة سنتكلم عن القراءة؟

أو أن القراءة حاجة فطرية؟

سوف يتبين أن القراءة حاجة فطرية عندما يتبين أن العلم بنفسه حاجة فطرية والقراءة تعتبر بالنسبة للعلم وسيلة.

العلم هو حاجة فطرية، القراءة ليست حاجة فطرية لكنكم تعرفون أن الناس ما يصلون إلى حاجاتهم إلا بوسائل، والوسائل تأخذ حكم المقاصد، فإذا كان العلم حاجة فطرية ستصبح القراءة حاجة، بسبب الناتج الذي يخرج منها الذي هو: (العلم).

العلم حاجة فطرية؟ نعم، فنحن كلنا فُطرنا على أننا نرغب أن نتعلم، نريد أن نتعلم، نحتاج أن نتعلم، إلى أن تصل أنه ضرورة أن نتعلم، عندما تكون غاية القراءة أن تهتدي إلى الله وتكون رشيدًا تصبح القراءة ضرورة لأنك أنت لن تنجو إلا بالقراءة، وأمس مثّلنا مثال وقلنا: لو كنا نمشي بطريق ولا نعرف ما هو آخره، وآخره ممكن أن يكون بحر عميق أو يكون واديًا سحيق وآخره ممكن أن يكون النجاة، ثم يقال لك: حتى تعرف أنك في أي

طريق تسير ولا تكون هذه هي النهايات، اقرأ الإرشادات، لو ما قرأت ممكن أن تكون نهايتك البحر العميق أو الوادي السحيق، إذا كنت تعرف تقرأ ستصل إلى النجاة.

نحن هكذا بالضبط إذا لم تعرف تقرأ ستكون في أحد هذه البلاءات وحتى تنجو يجب أن تقرأ الإرشادات.

فيجب أن نتفق على ما هي القراءة؟ ما هو مفهوم القراءة؟

نحن نعامل كلمة (القراءة) بالبديهة أن القراءة هي أن أفتح الكتاب وأقرأ! نقول: لكن هذا يجعلنا في شأن عظيم، إذا كانت القراءة هي أن أفتح كتابًا وأقرأ، كيف أفسر أمر جبريل-عليه السلام-للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن يقرأ؟ لا، هذه ليست القراءة، بل هذه أحد أساليب القراءة وهذا كان لابد أن يثيرنا، أنه كيف أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كان يؤمر أن يقرأ وهو أمّي؟! (أمّي) لا يتهجى الصورة للكلمة ومن ثَمَّ لا يُخرج الصوت المناسب لها، هذا

الذي لا يعرفه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لكن هذا لا يعني أنه لا يعرف أن يقرأ.

معنى ذلك أن القراءة موضوع أوسع من مجرد التهجئة ومعنى ذلك أنك عندما تقرئين في التاريخ-والتاريخ القريب-أن أعمى يصبح عالمًا؛ تعرفين أن القراءة لا تعني تهجئة الحروف وإخراجها من مخارجها.

فالمثير من هذا النقاش أن أعرف كيف قرأ النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-؟ كيف ينزل عليه جبريل ويقول له: (اقرأ)؟ ومن ثَمَّ نوسعه في تفكيرنا، ومن ثَمَّ هذا نعلمه أبناءنا:

اتفقنا أن اقرأ بالنسبة للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-تفهم بمرحلتين:

1- جبريل كان يقول للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: (اقرأ) أي: استعد للقراءة.

مثلما تقول للطلاب: "هيا اكتبوا" أي: استعدوا.

2- ثم إن القراءة هنا بمعنى: يسمع ما سيُلْقيه عليه جبريل-عليه السلام-ثم يُعيده.

بدليل لما ذهبت به خديجة-رضي الله عنها-إلى ورقة بن نوفل ماذا فعل النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-؟

قرأ عليه الآيات أي: أعادها لكن ليست من باب التهجئة، فلما أمر جبريل النبي-عليه السلام-بالقراءة كما في أول سورة نزلت كان الأمر بالقراءة معناه: اسمع ما يلقى عليك واستعد أن تسمع وتجعله في فؤادك ثم تعيده.

إذا كانت القراءة ليس آخرها القلب والفؤاد، فلا تكون قراءة أبدًا ولا تدخل في هذ المعنى، هذا ممكن أن يكون من معاني التهجئة، بالضبط مثلما تعلِّم طفل في رياض الأطفال أو في أحد الصفوف الابتدائية، فنقول عنه: "لسانه طلق في القراءة". يعني "طلق" في التهجئة، أعطه أي موضوع كبير كان أو صغير أو أعطه أحد كتب المجلدات يقرؤه بصورة جيدة لأنه عُلِّمَ كيف يقرأ الحروف

بصورة جيدة، لكنه لا يفهم ما يقرأ؛ إذًا لا يعتبر قارئًا، هذا يقال عنه: جيد في تهجئة الحروف وجيد في إخراجها من أماكنها يعني أخرج الصوت فقط.

ومثله من يدخلون في مسابقة في القراءة ويكون شعارها: "اقرأ (أكثر) تكن مثقفًا (أكثر)"! هذا ما معناه في عقلنا بعد هذا المفهوم؟ فقط حركت فكك وأخرجت الصوت ولا تفهم ما تقول، وخصوصًا لو جربتم أن تقولون لهم: "لخِّصوا هذا". وفي التلخيص أول كلمة يأخذها من هنا وآخر كلمة من هنا ويلصقونها ببعضها! هذا الذي يحصل في الواقع، ويمكن يفكر أن لا يلخص بنفسه، ممكن أن يأتي بموضوعه الذي يتناقش فيه فيجد أن أحدًا كَتَبَ مُلَخَّصَهُ على أحد الصفحات-صفحات التلخيص-فينقله! الشاهد أننا لو أردنا أن نتفق في موضوع (صناعة القراءة) أننا يجب أن نصحح مفهوم القراءة حتى نصنع القراءة لأننا لو لم نصحح مفهوم القراءة لا يصلح أن نقول: هيا نتعلم كيف نصنع كذا. لا توجد نتيجة.

ثم خرجنا بنتيجة مهمة من سورة السجدة: أنت ستستخدم أداتين في القراءة:

- السمع والبصر.

لأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-ما استعمل بصره لما كلمة جبريل، استعمل أذنه وكل عالم بصير-لا يرى-استعمل أذنه. إذًا مطلوب منك في القراءة أن تستعمل أذنك وعينك، ويسقط ما تقرؤه في فؤادك، فعندك سمع وبصر وقلب، وأنتم تلاحظون هذه الأدوات الثلاثة دائمًا يأتي النقاش عنها في القراءة لأنها هي الأدوات التي وُهِبَت لك لتقرأ، والقراءة للعلم حاجة فطرية حتى أصل في النهاية إلى اليقين فأصل في النهاية إلى الرشد.

ما هي القراءة الصحيحة؟

أن نستعمل الحاستين: السمع والبصر حتى نصل للفؤاد.

الخروج من كلمة القراءة المشهورة بكلمة القراءة الصحيحة ليس أمرًا يسيرًا، عندما تقرؤون قصة بِدْءْ الوحي في صحيح البخاري ترون أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قرأ قبل الوحي، فـ (التحنث) في غار حراء كان من أهدافه القراءة.

فالقراءة الصحيحة هي:

- استعمال السمع والبصر لإملاء الفؤاد بالحقائق.
- أسمع ماذا؟ وأبصر ماذا؟ حُدِدَ لنا في سورة السجدة ماذا نسمع ونبصر.

 في سورة السجدة جاء السمع والبصر في ثلاثة مواطن:

الموطن الأول: جاء في موطن الامتنان.

الله أخبرنا أنه خلق لنا روحنا فهذه الروح وخِلقَتَها وُهبت لنا بعد أن أخبرنا عن الجسد وخِلْقَتَه ثم عُطِف عَليهِ قوله تعالى: {وَجَعَلَ

لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ}[19] لم يأتِ ذكرهم مع الماء المهين وخلق الجسد، بل جاء مع الروح لماذا؟ لأنهم سبب لسموُ الروح.

الموطن الثاني: في السورة إن الكفار الذين أنكروا قالوا: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[20]

ما المقصود {أبصرنا}، {وسمعنا}، {موقنون}؟ الله-عزَّ وجلَّ-خلق لنا السمع والأبصار والأفئدة، ماذا كان يُتوقع؟

أن السمع تسمع به، والبصر تبصر به، والفؤاد تضع فيه اليقين، هذا كان المنتظر.

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما قيل له: "اقرأ" أي: اسمع ما يلقى عليك وأوقعه في قلبك.

---

[19] () [سورة السجدة: 9]

[20] () [سورة السجدة: 12]

القراءة لها أداتين السمع والبصر ولها إناء تقع فيه (القلب) والقلب يصل إلى اليقين، أما إذا قرأت فوصلت إلى الشك معناه أنك تسير في الطريق الخطأ.

"يجب أن تصل إلى الحق وتتيقن به وتدفع الباطل"

الموطن الثالث: قيل لنا ماذا نقرأ بأسماعنا وبأبصارنا.

- تقرأ بسمعك كل الأخبار، يُسمعك الله كل الأخبار التي تأتيك:

{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ}([21])

هم يمشون في مساكنهم ويسمعون الأخبار لذلك قال لهم الله: {إن في ذلك لآية} (لآية) تُقرأ، أين الآية؟

أخبارهم، سبأ ماذا حصل لهم، قارون ماذا حصل له تسمع الخبر لا تراه بعينك وتقرؤه آية.

---

[21]() [سورة السجدة: 26]

- تقرأ ببصرك: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ}([22])

الآية وسّعت دائرة القراءة صارت أوسع أدوات القراءة:

(السمع والبصر والمقروء) / (المكتوب من المقروء).

المقروء: هو المكتوب بالحروف.

والمكتوب: في الكون حولك.

تقرأ أفعال الله، تقرأ حتى وجوه الخلق، القراءة واسعة، تقرأ المكتوب، وتقرأ المعاني المخبوءة عند الناس التي في المواقف والأحداث، وتقرأ أفعال الله في السماء، الكون، وتقرأ الأحداث التي تخصك، تعتبر هذه آيات يجب أن تقرأها.

الآيات نوعان:

- آيات مكتوبة تقرؤها بالتهجئة.

---

[22]() [سورة السجدة: 27]

- وآيات منظورة في الكون تقرؤها بسمعك وبصرك.

فأصبح القلب هو الذي يقرأ، فعل القراءة الحقيقي في القلب بالأمس تكلمنا عن مسألة مهمة وهي الغاية من القراءة ولا تنسوا أن القراءة وصلت إلى حد أن تكون ضرورة فطرية.

لماذا أقرأ؟

ليس لأجل الثقافة وإذا تكلم الناس زاحمتهم بالكلام وأبين لهم أني أعرف! لا، هذا أصلًا منهي عنه شرعًا يعني الذي يتعلم لكي يجاري العلماء ويماري السفهاء هذا آثم[23]، بالرغم من علمه، هذا قصد غير الله.

المفترض عندما تكون مؤدبًا بالقراءة حين يأتي أحد يخبرك بكذا وكذا من الأمور وأنت تعرف هذه الأمور قبل أن يولد هذا الذي يكلمك، لكن لأنك مؤدب وتعرف أن القراءة ليست استعراضًا

---

[23]() قال رسول الله: ((من طلب العلمَ لِيُباهِيَ به العلماءَ، أو ليُمارِيَ به السُّفهاءَ، أو لِيصرفَ به وجوهَ الناسِ إليه فهو في النَّارِ)) وصححه الألباني.

والعلم ليس استعراضًا تسمعه إلى آخر ما يقول وتعايش الأمر كأنك لا تعرفه. لكن وصل الاستعراض إلى أن يأتي أحد يقول: نتسابق في القراءة! وهذا عائد للموطن الذي نهى عنه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: (لا تنافسوا)[24] ولا في أي شيء تتنافسوا، كل ما في الأرض لا يستحق التنافس أبدًا.

لكن فيما عند الله يكون التنافس، قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[25] وحتى تتنافس في ذلك لابد أن تكون (مختبئ) أي: تنافس في ألا تظهر نفسك، تنافس في الانكسار بين يدي الله، تنافس الناس في عدم الاستعراض، لكن أنتم ترون التيار الذي نعيشه الناس ينافسون والذي ليس عنده شيء يستعرض نفسه، الذي لا يحسن كتابة كلمتين ينزل مقالة، ويناقش في كتب العلماء الذي ليس عنده دليل على وضوئه وصلاته يقول: أنا عندي رأي أخر في المسألة التي قالوها، فالمهم أننا نعيش في فوضى فكرية

---

[24] () أخرجه البخاري (6064)، ومسلم (2563) واللفظ له.

[25] () [سورة المطففين: 26]

هزت حتى العقائد الفكرية حتى الُمسَلّمات الفطرية هزتها، ونحن كنا أمس نقول: وصل الناس بهم الحال أنهم شكلوا لأنفسهم جماعة-هذه أخبار سيئة لكن اسمعوها حتى تعرفوا الخطر الذي نحن فيه-.

جماعة سموها: (لا أدري) بمعنى تسألينه أي سؤال في الثوابت يقول: لا أدري! لدرجة أن أحدهم في النقاش تسألينها: هل اثنان أكبر من واحد، هل الجزء أكبر من الكل؟ تقول: (أخاف من النقاش أن يجرني لورطة)! فتقول: (لا أدري).

إذًا أنتِ لا تصلحين للنقاش ولأنك إذا لم تكوني تدري أن الجزء أصغر من الكل فليس عندي كلام أقوله أنت في حكم الله: مجنونة مرفوع عنك القلم! هذه نتيجة الفوضى من أين أتت الفوضى؟

من قولهم: (اقرؤوا اقرؤوا افتحوا كتب اقرؤوا أي شيء، أنت عندك عقل ناقد يستطيع أن يفعل أي شيء) لا ليس عقلًا ناقدًا بل إن عندهم حالة يسميها بعض المثقفين حالة (القراءة المهاجرة)

عندهم انبهار بالذي يكتبه هذا وهذا ونحن نقرأ في تغريداتهم كلامًا هم ليسوا فاهميه وتحته مكتوب: الفيلسوف فلان الفلاني يعني لو طلبت أن يشرح الكلام الذي كتبته لا يعرفه لكنها موضة الفلسفة لذلك يجب أن نحدد

ما هي القراءة؟ ولماذا القراءة؟

أفضل نموذج يجيبنا عن سؤالنا: (ما هي القراءة ولماذا القراءة؟) هم الفتية أصحاب الكهف.

انظري إلى الجملة البديعة العجيبة يقولون: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

النتيجة: {لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَـهًا}[26]

هذا الكلام لم يأتِ إلا بعد قراءة متقنة لكل شيء سأضرب لكم مثالًا واحدًا من قراءاتهم وأنت قِسْ على ذلك:

---

[26] () [سورة الكهف: 14]

- هم عندما قالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} هل تتصورين أنها جاءت من فكرة لحظية؟

لا، هم جماعة أخذوا قرارهم أن يهاجروا من ديارهم وهو ليس بالأمر اليسير، هذه الكلمة التي قالوها:

{ربنا} بمعنى: صاحب، مالك، مربٍ، معطٍ، مُنعم بكل هذه المعاني؛ لذلك خرجوا بنتيجة لابد أن يفكروا بها ما الذي جعلهم يقولون: مالي إله أحبه وأعظمه إلا الرب الذي يملك؟ إنهم رأوا، قرؤوا الكون رأوا أن سماء تمطر لهم فيشربوا، السماء لا تستفيد، السماء تمطر فينبت النبات، الأرض لا تستفيد من النبات أنت الذي تستفيد، النبات ينشق ويخرج وأنت الذي تأكل ثمره، ويشاركهم الحيوان في شُرْبِ الماء لكن الحيوان يشرب الماء فيُخْرِج اللبن، كيف كل هذه الأشياء تصب في مصلحتك؟!

هذه هي القراءة والفطرة تقول: من أعطاني هو الذي يستحق المحبة، هو الذي يستحق الشكر، هو الذي يستحق أن يكون إلهي أرجع له في كل وقت.

* أيضًا قرؤوا واقع هم يعيشونه عندما كانوا صغارًا ربما كانوا يظنون أن آباءهم هم الذين يعطونهم، ربما ظنوا أن عظيم القوم هو الذي يعطيهم، فمات عظيم القوم وكل شيء يسير كما هو، مات آباؤهم وكل شيء يسير كما هو، والكون والقمر والشمس وكل شيء كما هو، ذهب هؤلاء الذين يرونهم عظماء وبقيت القراءة تقول: الكون سائر إذًا ليسوا هؤلاء.

قراءة بصورة أخرى: مَن سيكون المعطي؟

أوصلتهم لنتيجة هم طلبوها وهي: (الرشد)، (الاهتداء) وصلوا إلى الرشد والاهتداء.

إذًا فتنة أصحاب الكهف أحسن نموذج حقيق أن يُشْهر بين الناس ليعرفوا (ما هي القراءة) حقيقة القراءة ونتيجة القراءة وهي من

عجب كلام رب العالمين أنها أتت في سطر واحد قيل لك فيه: ما تقرأ وماذا تريد أن تصل بعد القراءة.

أنتم تحفظون الآيات وتعرفونها وتعرفون كيف أن هؤلاء الفتية أول خبر أتى عنهم أنهم قاموا فقالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} انظري كيف أن هذه المعرفة أنتجت لهم معرفة أن {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}، قرؤوا الحياة ووصلوا إلى هذه النتيجة ثم أنتجت لهم معرفة الشيء الذي كان واضح ويقرأ هو أن {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}

كيف وصلوا إلى: {لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا}؟

هؤلاء الفتية الذين تعلمنا منهم كيف نقرأ، هم أنفسهم بينوا لنا الغاية من القراءة، أرادوا من هذا كله (الرشد) لأنهم بعد أخذهم هذه القرارات آوَوْا إلى الكهف، ماذا طلبوا من ربهم؟ قالوا: {رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}([27])

---

[27]() [سورة الكهف: 10]

إذًا القراءة الحقيقية توصل الإنسان إلى الرشد وإذا لم يصل إلى الرشد، فهو لا يسير في الطريق الصحيح.

لا تنسَ أن الحياة كلها عبارة عن مجموعة طُرق أنت لا بد أن تَهْتَدي، تختار أي طريق ولا تظن أنه لم يُكْتب لك إشارات تقول لك: (ما هو طريق الهداية) لا تظن ذلك بربك أبدًا، بل كتب لك في كل مكان:

هنا يوصلك، وهنا لا يوصلك، هنا خطر، هنا آخر المكان، هنا بحر عميق هكذا، قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}([28])

ألم يخلقك الله من نطفة أمشاج فجعلك سميعًا بصيرًا لماذا هذه الخلقة؟ {نَّبْتَلِيهِ}، أي الطرق يختار؟ هل أختار وأنا لا أعرف الطريق؟! بلى تعرف، كُتِب لك على كل شيء ما هو الطريق السليم.

---

[28]() [سورة الإنسان: 2]

فأنت حتى تصل إلى الطريق السليم المفترض أن تستهدي الله كيف تقرأ؟

1ـ كيف تقرأ (الصوت الذي يخرج منه الحروف).

2ـ وكيف تقرأ الكون من حولك.

3ـ كيف تقرأ أفعال الله وكلما زدت علمًا عرفت كيف تقرأ أفعال الله.

لكن الإشكالية الآن: كيف أقرأ؟ ما هي الآليات التي أقرأ بها؟ حتى التهجئة هذه لها قواعد أنت عرفت كيف تقرأ الحروف، لكن كيف تفهمين لأن القراءة ليست مجرد تهجئة، القراءة حالة بعد التهجئة.

نأخذ نموذج (قصة قارون):

هذه القصة فيها تعليم كيف تكون القراءة صحيحة.

من المسائل المهمة: أنك عندما تقرأ يجب أن تفكر وتتشرب المفهوم تشربًا يسمح لك أن تصل إلى حقيقة المعارف التي تطلبها، لكن حتى تفكر ويحصل لك التدبر وتستوعب وتتشرب وعقلك يستنهض لابد أن تشعر أنك تكابد، فالقراءة تحتاج إلى مكابدة، القراءة التي تكون على الفراش أو على الأدوات الحديثة هذه أصبحت قراءة مزعجة لأنها أخرجت متعالمين أنصاف متعلمين، فلو أنه بقى مستورًا ولا يعرف المسألة أفضل له، لكن يصدق أنه يعلم فيأتي بالفلسفة ويأتي بانزلاق قدمه، فيجب أن نعلم أننا نكابد حتى نستخرج دفائن العلم، وأول ما تصل إلى كتاب الله تقول: إن هذا الكتاب عزيز لا يُعطى لأي أحد وحتى لو أتقن الناس حروفه، فالمعاني تبقى أسرارًا، فحين تدخلين على الكتاب لا تشعرين أنك تقرئين مطالعةً، فالناس تأثروا بدراسة المدارس، لكن مع القرآن عليكِ أن تقرئي الآيات، ما معاني الآيات، ماذا استفدتِ من الآيات، ما معنى كذا؟

لكن بدون مكابدة، لن نصل، وأيضًا يا ويل الذي يرسب في مادة من مواد الدين لماذا يرسب فيها مع أنه (سهل)

يرسب في الرياضيات والعلوم لأنها تحتاج إلى تفكير! وكأن هذا الكلام الذي نزل من رب العالمين أنزله العزيز العلم يسير سهل، انظري كيف يتضمن هذا الكلام مسبة دون أن نشعر.

المقصد الآن نحن كبار ناضجون يجب أن نتخلى عن التفكير السابق وانسوا قراءة الجرائد وقراءة صفحات الإنترنت، هذه ليست قراءة إنما هو تهجي فقط، يأخذ أي كلام من أي مكان، لكن إذا كنت تريد أن تصبح قارئًا فلا تظن أن المسألة يسيرة ولا تحتاج إلى صبر، لا هي يسيرة على من يسَّرَها الله عليه، لكن أنت تعبد الله لابد أن تكابد هذه المكابدة، فقط مكابدة عقلية لكن بدنك في مكانك وعقلك يجتهد وما أطيب هذه القُربة إلى الله، أنت تقول بلسان حالك: (أنا سأقرأ وسأفكر لكي أصل إلى اليقين بك) وما هو الاختبار الذي نعيشه في الكون: (اقرأ ما كتبه الله لتصل إليه وأنت

على يقين منه، اقرأ معاملة الله لك حتى تصل إلى اليقين به، فالقراءة هي بالنسبة لنا: (دين) نتقرب به وليس ثقافة وموضة؛ ولذا نحن نقول لمن يقول: "إن أول آية نزلت على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-وأول أمر: (اقرأ)": ضع القراءة في مكانها الصحيح وإلا لا تستعمل الدليل لأنك بهذا تستعمله على ما يؤيد كلامك بدون أن تتعامل معه كما ينبغي.

إذًا اتفقنا أننا لابد أن نُكابِد وقراءتنا التي توصلنا للرشد، لابد أن يأتي من ورائها صناعة عقولنا.

نحن عندما نقرأ، لكي نقرأ بصورة صحيحة يجب أن نُشْعِر أنفسنا أننا مطلوب منا أن نُخْرِج الحقائق من الكلمات، أي المطلوب منك عندما تقرأ القرآن أو السنَّة أو أي علم أن تخرج الحقائق من الكلمات، هذه الكلمات وُضعت للدلالة على أشياء فالكلمات وحدها ليس لها دلالات ويصبح لها دلالة عندما تُصَفْ،

ما المطلوب منك؟ أنه بعدما صُفَّت تَسْتَخرج ما وراءها من معاني، أي أنهما خطوتان:

الخطوة الأولى: فهمها فهمًا عامًا.

الخطوة الثانية: تستخرج المعاني منها.

إذا تكلمنا عن كلام الله وكلام الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-فله طريقة، وإذا تكلمنا عن غيره فله أيضًا طريقة، أي نبذل جهودنا فنتكلم عن كلام الله وكلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وكلام غيره من العلماء والخطأ يكون أن كثيرًا حتى ممن يقرأ التفسير يجد نفسه لا يفهم التفسير، أو يقرأ الشروح في الحديث مثلًا ولا يفهم ما يقول المحدث، فصارت المشكلة مضاعفة، لا يفهم كلام الله ولا كلام الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-ولا كلام من يشرح كلامهم ومن ثم لا نفهم كلام العلماء فنجد أنفسنا عند نفس الإعاقة: لا نفهم الذي وراء الكلمات.

الكلمة لها دلالة ولا تتضح حقيقتها إلا بعد النَظْم، فكلام العرب لا يُفْهَم إلا نظمًا، بعدها مهمتك أن تستخرجي المعنى من وراء النظم، وتقرئين هذا في عقلك بالطريقة التي تُنْتِج فَهْمَا وبعد ذلك تسلكين ما نسميه نحن (العمل)، العمل القلبي والعمل الجارحي.

الآن نرجع للنص: كيف قرأ قارون؟ وكيف قرأ الذين أعجبوا به؟ وكيف قرأ الذين ضدهم وكيف خرجوا بنتيجة؟

هذه القصة تبين لكِ كيف قرأ الناس الأحداث؟

وأنتِ اختاري لنفسك قواعد صحيحة لكي تقرئي الأحداث التي حولك، فهو نوع قراءة خاص لكنه من ضمن القراءة وهذا الذي قيل لنا عنه: اسمعوا وانتفعوا واقرؤوا الحدث كما ينبغي.

ابتدأت الآيات بقوله تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ}[29] الآيات واضحة أنه من قومه يعني القرابة.

ونحن لدينا قاعدة تامة الوضوح تقول:

---

[29] () [سورة القصص: 76]

إن كل القصص القرآني أتى من أجل أن نكون أمام نموذج، نخرج منه بالعبرة.

نموذج ونقيس عليه نحن وجميع الأمة الإسلامية ابتداءً من النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وانتهاءً ممن يكون آخر هذه الأمة، ونبتدئ بالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-:

عندما أبحث من قومه على من يشبه قارون، وأيضًا غني وأيضًا اعتدى على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-نجد أنه (أبو لهب) وغيره أيضًا من قرابته، لكن (أبو لهب) أشهرهم. معنى ذلك أن في التفكير هناك أشياء تشبه بعضها وشخصيات تشبه بعضها.

من أول من يعتبر بهذه القصة؟

النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الذي نزلت عليه هذه السورة فتجعل في قلبه تسلية عما يحصل من قرابته، ونحن أيضا نفس الأمر.

الآن فهمت أنه من قوم موسى، لكن هذه كأنها التهجئة مع الفهم الأولي هذه الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية:

{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} هو من القرابة وكان المتوقع من القوم والقرابة أن يناصرهم وهذه الكلمة (التناصر) جاءت في نفس القصة، فبغى عليهم أي: حصل عكس المتوقع والسبب في بَغْيِه: {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}[30]

---

[30]() (لا بد أن نعرف أن القراءة الصحيحة المتصلة بالمكتوب تعتمد على قوة اللغة، فنحن عندما أرادوا طَعْنَنا ماذا فعلوا؟ قللوا من قيمة اللغة العربية، وأول طعن فعلوه فينا استمر إلى اليوم هو من قرون سابقة واستمر إلى أن ترك الناس الفخر بلغة تكلم بها الله العظيم ويفتخرون بلغات لسوق العمل، أهل الدنيا يقولون: هذه اللغة لسوق العمل، واللغة التي تكلم بها الله وراء ظهور الناس هي أيضًا عُقِّدَت علينا قصدًا، وهي أصلا ليست معقدة فلابد أن نستغيث بالله بأن يفتح لنا باب اللغة؛ لأن هذا الكنز لا تفهمه إلا إذا فهمتِ اللغة ويجب أن نعرف أننا في عيب عظيم وأن أولادنا إلى الهلاك إذا بقوا بهذا التفكير وأن أسرنا التي تتفاخر باللغة الأجنبية كأنها تقول: أما ما تكلم به الله فلا أفهمه. هم لا يقصدون ذلك لكن هذا لسان الحال، يشعر أن له قيمة عندما يتكلم بكلمة عربية وكلمة إنجليزية! وأنتم تعرفون أن المسلمين غير العرب هم مستعدون ليبيع الواحد منهم نفسه من أجل أن يجد لسان العرب، والعرب أصبحوا (يخجلون) من كونهم عرب، انظر كيف وصلوا إلى مُرادهم بالحسد، نضرب هنا مثال: أختان واحدة جميلة وواحدة أقل جمالًا، فتقول الأقل جمالًا لأختها: هل تحسبين أنك جميلة؟ هم فقط يجاملونك (وهذا كله حقد، حسد) هم كذلك يفعلون يقولون: أتحسبون لغتكم جميلة أتحسبون لغتكم مليئة بالكلمات تحسبونها ثرية هكذا، إلى أن أوقعوا في نفوسنا هذه المشاعر أوقعوها في نفوس أبنائنا، وكل السبب: التعليم، إذا كانت مناهج بعض الدول كتبها المستعمر قبل أن يخرج، فما النتيجة التي ستكون؟! هل المستعمر (سيُطَبْطَب علينا)؟! لا.

المقصد أن نصل إلى قراءتهم للحدث: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}

يعني النصيحة التي قالوها الذي دعاهم لقولها قراءتهم لحاله.

هو بغى عليهم وهم فهموا من تصرفاته أنه فرحان، وهنا يُقصد بالفرح فرح البطر والأشَرْ وهو فرح الاستغناء بما أعطى الله عن الله! وهذا فرح لولا حِفْظ الله لخالط الناس كلهم، كل الناس عندما يعطيهم الله تجدهم ينكبون على ما أعطى الله ويستغنون عن الله، انظري عندما تعدين مخاوفك تقولين: لا أنا من جهة المال لا أحمل هم أنا عندي كذا وكذا لكن أنا مشكلتي كذا وكذا! نقول: حتى المال لو ما نفعك به الله فلن ينفعك.

كيف قرؤوا حالته قرؤوا أنه داخل في حالة من الفرح هو لم يقل لهم: أنا فرحان. لكنها قراءة الأفعال وهذا الذي كنا قلنا عنه إننا نقرأ الوجوه، تقرئين الأحوال التي تدور حولك، يعني أنت تربين أبناءك تعرفينهم تقرئينهم ولا تتغافلين، مثلًا عندما يقول كلمات

فيها نَفَس التَكبُّر على الناس، حين يتصرف تصرفات فيها نَفَس الحسد لا تقولي: هذا في قلبه والله أعلم بما في قلبه! نقول: لا يصح أن نقول ذلك يجب أن تقرئيه جيدًا هذا ولدك أنتِ مسئولة عنه، لابد أن تقرئي ما في قلبه، يقول: أنت تظنين فيَّ ظن السوء. تقولي: أنت خرجت من بطني، أنا أحفظك بالتفصيل، فحفظي لك يجعلني أقول الباعث لفعلك هو كذا، أنا أفهمك أكثر من نفسك. طبعًا إذا كنتِ صادقة في فهمك أما سوء الظن فليس مطلوبًا يعني تعرفينه وتعرفين كيف يلف ويدور فلا بد أن تكون هناك قراءة صحيحة للتصرفات نحسن الظن في موطن حسن الظن ونترجم الأحوال كما ينبغي.

يعني ممكن أن يقال: لماذا أساؤوا الظن فيه؟ لماذا قالوا له: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}؟

قرؤوا أفعاله وعرفوا أن هذه الأفعال لا تصدر إلا من فَرِح بالدنيا فحَذّروه.

وهذا الذي يجعلنا اليوم نُطالب بشدة الناس الذين عندهم خبرة مثلًا الذين في عمر الخمسين هؤلاء بالنسبة لنا كنز، الناس الخبراء الذين عاشوا الحياة، متزوجة لها ثلاثين عام وعقلها يُنتج معرفة، نريدها أن تكون مستشارة للصغار الذين أصبح الطلاق يكثر بينهم، لكن تعرفين ما هي المشكلة الأولى؟ هي أصلًا لا تريد أن تقول إن عمرها خمسين سنة، أنا أناشد الذي يرى نفسه أهلًا لأن يُرشد المجتمع لا يبخل على البنات، المفترض أن تعطي وقتها لو حالة واحدة في الأسبوع وتأتي تكلِم الناس وتهون عليهم ضيق البداية وتيسر لهم الأمور وتعلقهم بالله، ولو رأيتها ضائعة لا تعرف الحياة وأنتِ كبيرة وتعرفين أن هذه الأشياء تافهة، تدلينها، أسأل الله أن يرشد الثروات هذه في المجتمع ونحن مجتمع بفضل الله فيه من التوازن في السن ما لا يوجد في غيره من المجتمعات مثلًا أوروبا تجد الكبار في السن بعيدين جدًا عن الصغار، وصغارهم أصلًا قليل لكن نحن في مجتمعنا كل الأعمار متقاربة

هذا بفضل الله بسبب الإنجاب فنحن في نعيم، أنتِ اقرئي الحياة بصورة جيدة ثم تعالي علمي الصغيرة.

نرجع للقصة هم قرؤوا الأحداث-طبعًا كل هذه القراءة صحيحة-فقالوا: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}.

كيف قرؤوا المُلك الذي يملكه؟ قرؤوه على إنه إحسان من الله، وانظري لقولهم: {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ}([31])

لماذا أساؤوا الظن فيه؟ لماذا قرؤوا المسألة بهذه الصورة؟ قرؤوا حالته، فكروا وتبين لهم أن الذي هذا وَضْعُهُ تكون نهايته أنه يبغي في الأرض، فأنت عندما تجدين أحدًا تفتح عليه الدنيا فتقومي بنصحه يقول: أنت حاسدة. لكن أنتِ يجب أن تكوني صادقة وتدعي الله قبل كل شيء: (اللهم سددني) وتتجردي من كل المشاعر التي هي من هذا النوع، تقولين له: هذا طريق وأنا أقرأ وضعك وممكن أن يوصلك إلى كذا، أنت في البداية اتقِ وامشِ في

---

[31]() [سورة القصص: 77]

الطريق الصحيح وعلى قَدْر صِدْقكَ تَقَعُ النصيحة هو يقبلها أو لا يقبلها هذا شأنه، لكن النصيحة تقع عند الله إذا كنتِ صادقة وتؤجرين عليها، لا تتركي قراءة الأحداث وأنت تفهميها جيدًا ليس وأنتِ تخمني هناك فرق بين القراءة والتخمين.

انظروا إلى رد (قارون) كيف قرأ عطية الله قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} يعني فسَّر العطية على الجهد المبذول ولم يَرُدّه إلى أن الله فتحه عليه، فقرأ الأحداث بصورة غير صحيحة فأهلكته-أولادنا اليوم يقرؤون الأشياء بصورة غير صحيحة فمن ثم تهلكهم-وجاءه الرد في القراءة الصحيحة قال الله: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا}([32])

هو الآن ما استجاب لنصيحة القوم فرد عليهم بكلامه وفِعْلِه:

بكلامه: قرأ عطية الله أن هذا كان بفعله وجهده.

---

[32]() [سورة القصص: 78]

وبفعله: خرج على قومه في زينته.

كأن الذين نصحوه لم ينفعوه، قرأ الحدث بصورة أنهم يعادونه ويحسدونه لذلك يقولون له هذا الكلام فقال لهم بلسانه قراءة للحدث بصورة غير صحيحة: "إنما أوتيته على علم"، وأيضًا أراد غيظهم فخرج على قومه في زينته.

الآن نرى كيف قرأ المستقبلين الحدث؟ انقسموا إلى قسمين:

- الذين يريدون الحياة الدنيا بسبب ما في قلبهم من إرادات قرؤوا الغِنى أنه (ذو حظ عظيم).
- والذين في قلوبهم علم ويعرفون قراءة الحدث بصورة جيدة قالوا: (ويلكم ثواب الله خير).

انظري كيف تؤثر الإرادات على القراءات.

مَن أنت، ما الخلفية السابقة التي عندك، كيف تفكر؟ هذا يؤثر على القراءة، والقراءة تؤثر عليك عندما تكون معقدًا نفسيًا وعندك

سوء ظن تأتي أحداث مثلًا يترك لك أحد مكانه ويقول لك: تفضل. فتظن أن المكان فيه شيء سيء! فيقرأ الحدث بناء على نفسيته. والإنسان كما يتأثر بقراءة الأحداث هو يؤثر على القراءة، حتى على القراءة التي تقرئينها بعينك مثلًا تقررين أن هذا الشيء خطأ فعندما تقرئين قراءة التهجئة التي وراءها فهم الكلمات وبعدها الذي تريدينه أن يصبح خطأ فأي كلمة تدل على أنه خطأ (تعظمينها) والكلام الباقي لا تقرئينه لأنك تريدينه هكذا فهذا من الانتقائية.

الشاهد أن {الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} قرؤوا الحدث بطريقة جعلتهم قالوا: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ}

أين القراءة؟ {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}([33]) رأوا أن الذي عنده مال فهو ذو حظ عظيم، وأما القارئون الذين يؤثِّرون على المقروء، قالوا {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا

---

[33]() [سورة القصص: 79]

الصَّابِرُونَ}([34]) أي: عندما يكون عندك قواعد صحيحة؛ تقرأ بصورة صحيحة. هؤلاء عرفوا كيف يقرؤون الحدث.

شاهدنا هنا أن الناس انقسموا إلى قسمين

هذه القصة نموذج لنا، قارون هذا شخصية، قارون هذا ممكن أن يكون عبارة عن دول أو عبارة عن منظمات، أو عبارة عن بلاءات عظيمة من نفس النوع، أهم شيء الصفات.

الصفات التي هي: أوتي من الدنيا، قال تعالى: {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}([35]) وبعد ذلك الناس يخرج عليهم قارون فينقسموا إلى قسمين.

اليوم هذان القسمان واضحان:

- نجد المبهورين بالشرق والغرب هنا قارون في الشرق وهنا قارون في الغرب.

---

[34]() [سورة القصص: 80]

[35]() [سورة القصص: 76]

ليس المحزن أن قارون موجود، بل المحزن أن أبناءنا يعظمون (قارون) ويصفونه بالكمال، يقولون: "لو رأيتم شوارعهم وحدائقهم؟ إنهم لذووا حظ عظيم" حتى جعلوهم كأنهم يعيشون في الفردوس! بعد ذلك يقولون: نحن لا يهمنا دينهم ولا نقصده.

كيف لا يقصد دينهم؟ أنت الآن عندما تتكلم عن الحضارة أو الثقافة، تتكلم عن الدين لأنهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصلهم شعوريًا.

ووصل الحال بأبنائنا إلى أن قالوا: لو كان الإسلام هو الطريق الصحيح لانتصرنا! وصل بهم الحال أن يشكّوا في دين الإسلام لأنهم رأوا هذا الذي وصفه (ذو حظ عظيم)!

فمن الذي ينجو؟ الذي يعرف قراءة الحدث بصورة صحيحة {وَقَالَ الَّذِينَ أوتوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ} ما لكم هذا كله لا شيء، هذا كله ابتلاء، كله قشرة يأتي شيء مثل "تسونامي" يقتلعهم كلهم.

فالمقصد أنك عندما تقرأ هذا النموذج في القرآن، تستطيع تنزيله على الواقع.

ولا تُغَيِر رأيك فالذين أتوا العلم لا يغيرون رأيهم: {ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ}([36]) يعتبرون كل ما يرونه ما هو إلا (الحياة الدنيا) التي لا تساوي شيئًا ولذلك انظري في نفس السورة إلى قوله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ} فحقيقته: {فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى} كلمة مهمة تجعلنا نقرأ الحدث بصورة مهمة {أَفَلَا تَعْقِلُونَ}([37]) يعني هذا قارون لو عقلتم قصته لعلمتم أن ما أوتي كله وما أوتيتم أنتم بأنفسكم من شيء: {فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ} تأتي الآية التي بعدها تجعلنا دائمًا نفكر: {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}([38]) كيف نقارن

---

[36]() [سورة القصص: 80]

[37]() [سورة القصص: 60]

[38]() [سورة القصص: 61]

بين اثنين ولا يوجد بينهم وجه مقارنة؟! فهذه القصة تجعلنا نعرف أنها قراءة لحال قارون وحال من آذى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من أقربائه وقراءة لأي أحد بنفس الوضع أوتي زينة الحياة الدنيا.

الآن قارن: {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ} يقينا {كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} كيف يُعظِمون لك الشرق والغرب؟ كيف يقرؤون الحدث بصورة غير صحيحة؟ ولذا الناس ينقسمون أمام كل حضارة في كل زمن إلى هذين القسمين لا غيرهما:

- قسم يريد الحياة الدنيا؛ فيقرأ الحدث كما يريد.
- قسم أوتوا العلم عندهم قواعد صحيحة؛ لذلك هم قرؤوا الحدث كما يجب.

لذلك {أفلا يعقلون} هي التي نفعتني الآن، اعقل {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} ؟ كيف مَن سيكون مِن المحضرين يوم القيامة-أي سَيُعَذَّب-يكون متاعه خير وبركة؟!

مهمة هذه القراءة أن نصل إلى النتائج المطلوبة.

قال تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}[39] (الفاء) هذه تعطي معنى كأن الحدثين معًا: (**فخرج** على قومه **فخسفنا** به).

ثم انظري بعد ذلك كيف قرؤوا {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ}.

{يَنْصُرُونَهُ} في السابق قال: {فبغى عليهم} كان المفترض أن ينصرهم لكنه بغى عليهم ظن أنه سينتصر عليهم.

القراءة الأخيرة هي:-

---

[39] () [سورة القصص: 81]

{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ}[40] الآن قرؤوا القراءة الصحيحة فقالوا: {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ} {ويكأن} كلمة مكونة، وهناك أقوال في تكوينها قالوا: كلمتين وقالوا ثلاث، لكن نأخذ قول إنها ثلاث كلمات:

- (وي) كلمة عند العرب بمعنى: أعجب يعني (تعجبية).
- و(الكاف) كاف الخطاب تنبهك أن الخطاب لك.
- ثم (أن) فكأنه يقال لك: اعْجَب يا هذا من بسط الله الرزق لمن يشاء من عباده وأنه يقدر له.

معناها أن العطية في الدنيا أبدا لا تساوي الرضا، ولو كان غني وله مكانة أو الدولة التي لها سلطة، فهذا لا يعني أن الحق معها.

الشاهد أنهم بعد أن قرؤوا هذا الحدث خرجوا بهذه النتيجة، في المرة الماضية كانت قراءتهم خاطئة، لكن لما خُسِفَ به وبداره الأرض قرؤوا الموقف قراءة صحيحة فعرفوا، ما أعجب هذا!

---

[40] () [سورة القصص: 81]

خرجنا بهذه النتيجة: أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء.

فمسألة العطية في المال ليست دليلًا على الرضا أو الصلاح أو الصواب إنما هو بلاء محض، أنت كيف تتصرف معه؟ الله يعاملك ولذلك من المشاكل الكبيرة التي نعيشها أن الناس ليسوا راضين عما قسم الله لهم، اليوم الناس مرضى نفسيين بسبب أنهم ليسوا راضيين، منهم من هو غير راضٍ عن شكله، ومنهم من هو غير راضٍ عن عائلته، ومنهم من هو غير راضٍ عن لونه، ومنهم من هو غير راضٍ عن عمله، ومنهم من هو غير راضٍ عن زوجته، ومنهم من هو غير راضٍ عن أبنائه، وهم غير مدركين أن هذه كلها ابتلاءات، وهذا الابتلاء الذي ابتليت به هو بالضبط لو عاملته لدخلت الجنة مباشرة.

ما الذي ينقصك؟ ما ينقصك اصبر عليه وما أعطاك اشكر عليه هذان هما اللذان يدخلانك الجنة مباشرة.

الناس قرؤوا النقص عندهم دليل عدم رضا الله عنهم، فمفهوم الرزق لا يُقرأ بصورة صحيحة، العلم رِزْق رِزْق القدرات العقلية رِزْق صورتك، لونك، عائلتك، أبناءك، قدراتهم كل هذه التفاصيل رزق: {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} اقرأ الأحداث كما ينبغي لا تظن أن أحدًا ذو حظ عظيم، هذه الجارة التي تسكن في بيت كبير لا تعلمين كيف يكون حالها في الداخل، لا تعلمين ما مكانتها عند الله؟

وهكذا تنتج المعرفة هم لم يقل لهم أحد: "إن الله يبسط الرزق لمن يشاء" هم رأوا فأنتجوا معرفة، فالمعرفة التي خرجوا بها أننا يجب أن نرضى بما قسم الله وأن الاختبار: هل ترضى أو لا ترضى؟ والأمر العجيب أن الناس يعرفون أن الدنيا زائلة ومع ذلك جعلوها مقياسًا يقيسون به حياتهم، يظنون أنها نهاية كل شيء وهم يعلمون أنها زائلة!

السعادة ليست هنا، التمتع ليس هنا والصحيح أن الناس كانوا متمتعين فزالوا عن متاعهم، والصحيح أن الناس كانوا غير متمتعين ثم أتاهم متاع وفي النهاية هذا وهذا يدخل مكان ليس عليه غير الخِرقة البيضاء التي يُكفن بها ويبعث يوم القيامة ليس معه إلا الحسنات والسيئات. فلنقرأ الحياة بصورة صحيحة فنحن مشكلتنا في القراءة ومشكلتنا أيضا في أننا نقرأ المكتوب ولا ننظر لما وراءه.

لذلك القصص في القرآن عجيبة كلها تقول: (انظر كيف قرؤوا الأحداث) فرعون كيف قرأ الأحداث، قوم سبأ كيف قرؤوا الأحداث ونحن في البلاد المطمئنة يقرأ الناس الأحداث مثل قراءة قوم سبأ، لسان حالهم يقول: {بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}([41]) لا يعجبهم الأمن والأمان هل هناك عاقل لا يعجبه الأمن والأمان؟! لكنهم لا يقرؤون الذي يعيشونه على أنه أمن وأمان.

---

[41]() [سورة سبأ: 19]

مثلا في مدينة جدة في الساعة التاسعة يتركون الشاحنات تتحرك في الطرق وحين يرون الشاحنات يقولون: الدنيا زحام!

صحيح أنها زحام لكنه دليل على الأمن والأمان والنمو الاقتصادي وعلى أننا في وفرة من الحياة، في نعمة من الله وفضل نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين ولا يحرمنا بسبب ذنوبنا!

فانظري كيف يقرؤون الأحداث بصورة غير صحيحة.

تجدين امرأة مثلًا زوجها يقول لها: أنا لا أتركك تذهبين مع أي أحد أنا (أوصلك وأعيدك) وأعمل لك كل شيء. فتقرأ الحدث فماذا تقول؟! "حابسني".

كيف تتعلم أن تقرأ الحدث كما ينبغي؟

المقصد أنه: يجب أن تكون عندك نفسية صحيحة وقواعد علمية صحيحة حتى تصل إلى قراءة الحدث كما ينبغي

نرجع لكلامهم: {لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} هذه قراءة في مكانها فهموا أن الله لو أعطاهم نفس العطية لخسف بهم الأرض لو كنا من حزبه ونتمتع معه في شيء من غِناه لخُسفنا بنفس الخسف.

إذًا قرؤوا الحدث أنه هو نجاة لهم، ليس فقط هلاك له لكن أيضًا نجاة لهم كأنهم قالوا: الحمد لله أننا لسنا معه، الحمد لله نجونا.

قرؤوا فخرجوا بنتيجة القراءة: {لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}.

كثير من الناس لا يرون أنه {لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} لا بل كثير منهم يحب الدنيا فيروا أنه لو كان حقا: {لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} لما فلحوا في الدنيا.

جاء التقرير الآن: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا}([42]).

---

[42]() [سورة القصص: 83]

هذا كلام من الله وهذا الذي يجب أن تقرأ به الأحداث هنا كأننا فهمنا أن هناك قواعد أساسية تقرأ بها وهذه القواعد الأساسية كُليات لابد أن تتعلمها.

أسأل الله أن يرزقنا هذا العلم. ويبارك لنا فيه وينفعنا به.

نهاية اللقاء الثاني.

اللقاء الثالث

محتويات الدرس:

- ما هي القراءة التي ستوصلنا للرشد؟
- كيف تصنع لنفسك القراءة الصحيحة؟
- مثال قصة نوح-عليه السلام-في سورة هود.
- أسباب ضعف القراءة.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله-عزَّ وجلَّ-حمدًا كثيرًا طيبًا مبارك ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل كتابه وسنَّة نبيه-صلَّى الله عليه وسلَّم-

ونحن في لقاءاتنا هذه نناقش مسألة ليست بالجديدة لكن مع وضوحها وبيانها يكمنها غموض أدى إلى عدم الانتفاع بها، ونحن في جلستنا هذه اليوم وغدٍ نناقش مسألة (صناعة القراءة)، وهذه القراءة مهارة وقدرة يتملكها الناس اليوم بصورة كبيرة، يكاد يكون أكثر الناس خصوصا في المدن الكبرى عندهم القدرة على القراءة. و(القدرة على القراءة) نقصد بمعنى القراءة الضيق وليس بمعنى القراءة الواسع.

فلذلك لابد أولًا من توسيع معنى القراءة؛ إذا اتسع معنى القراءة والغاية من القراءة استطعنا أن نضع قراءة جيدة توصل إلى هدف جيد.

- وهنا سيأتي سؤال: هل سيكون نقاشنا حول القراءة نوع من أنواع الترف الفكري، أن الناس يتكلمون عن القراءة ونحن نتكلم مع المتكلمين؟!

- الجواب: لا، أبدًا، الكلام عن القراءة بالنسبة لأهل الإيمان والإسلام يعتبر بالنسبة لهم نقاش حول الوصول إلى الرشد، بمعنى نحن نعتبر القراءة وسيلتنا للوصول إلى الرشد، الرشد والهداية اللتان هما بالنسبة لنا مطلبان، فالقراءة ومناقشة تفاصيلها ليست ترفًا فكريًا، القراءة ومناقشة تفاصيلها في حقيقتها يقصد بها: الوصول إلى بيان هذه الوسيلة التي من ورائها يأتي الرشد.

والأمر يسير جدًا في الاستدلال، بمعنى من أجل أن أقول لك: ليس ترفًا فكريًا، يكفيني أن أقول لك إن أول كلمة وأول أمر نزل

على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كان: {اقرأ} فمعناه أننا لا نناقش من جهة الترف الفكري، لماذا؟ لأن في الترف الفكري الناس يكونون خاوين بأنفسهم فارغين من داخلهم، لكن من أجل مجاراة الموضات، ما الموضة اليوم؟ الموضة اليوم، كم كتاب قرأتِ، الموضة اليوم، تعال نجلس نتناقش حول كتاب، أصبحت القراءة موضة! فتصبح مناقشتها بهذه الطريقة مجرد ترف فكري.

نحن نجتمع ليس من أجل أن نصنع قراءة للترف الفكري، نحن نجتمع لأجل أن نتكلم عن صناعة القراءة التي توصلنا إلى الرشد "الرشد" هذا الشأن العظيم (الهداية) التي هي غاية الغايات، فلا بد أن نتفق سويًا على هذه الغاية من القراءة.

إذًا، نحن متفقون على أن سبب حديثنا حول القراءة أننا نحتاج هذه القراءة كوسيلة للهداية، كوسيلة للرشد.

- هنا لابد أن يأتي سؤال: ما هي القراءة التي ستوصلنا للرشد؟

الجواب: أن القراءة التي توصل للرشد أُمر بها النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وذلك لما نزل جبريل على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-وقال له: {اقرأ}، هو يأمره بأمر في الظاهر لا يتمكن منه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو التهجئة، لكن هذا لم يكن مقصد جبريل-عليه السلام-ما كان يقصد أن يتهجأ لأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أميٌّ لا يتهجأ، إذًا ليست هذه القراءة المقصودة، هذا نوع من أنواع القراءة، أمر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن يسمع من جبريل الكلام ويعيده بلسانه الشريف بعد أن استقر في وجدانه.

فإذًا القراءة ممكن أن تكون قراءة المسموع، وممكن أن تكون قراءة المكتوب حروفًا-التهجئة-وممكن أن تكون قراءة المكتوب في الكون، ثم يأتي من ورائها الترجمة، أي تقرأ بعينك وأذنك ويستقر هذا في قلبك، إذا كان القلب لديه الأدوات السليمة للقراءة يستطيع أن يصل من خلالها إلى الرشد، وإذا لم يكن لديه الأدوات السليمة للقراءة فلا يستطيع أن يصل إلى الرشد.

نحن يهمنا أن نتأكد أن هذا الكلام صحيح عن طريق الأدلة؛ لأن هذا ممكن أن يكون رأي، ما هو الذي ممكن أن يكون رأي؟؟ نحن كيف نقرأ؟ ماذا نقرأ؟ ما هي القراءة؟

مرة أخرى نركز على أن القراءة ليست هي التهجئة، إنما التهجئة أحد أدوات القراءة-أحد أدواتها أن تتهجأ كلامًا مكتوبًا-ولا تعتبر قارئًا إذا تهجيت وأخرجت الصوت المناسب وما وصل إلى قلبك. هذه الحقيقة؛ لأن القراءة وسيلتها التهجئة لكن ليست حقيقتها التهجئة، فحقيقة القراءة أن تصل بالمقروء إلى الرشد، تسمع وترى وتعرف فتتعلم وتنتج المعرفة، والمعرفة لكي تكون معرفة حقيقة لا بد أن تأتي بالرشد.

 نحن في جلستنا كل أسبوع نختار نموذج ونقول: انظر كيف قُرء هذا النموذج؟ وكيف لم يُقرأ؟

في الأسبوع الماضي كنا اخترنا نموذجًا تناقشنا سويًا في قصة " قارون وقومه " كيف قرأ قومه غِناه؟ كيف قرؤوا تصرفاته؟

ولماذا قال له الناصحون: لا تفرح؟ لأنهم قرؤوا تصرفاته فكانت الترجمة أن حاله سيكون كذا وكذا، كيف انقسم عليه قوم؟ الناس الذين يريدون الحياة الدنيا وحب الدنيا يملأ قلوبهم قرؤوا الحدث على أنه لذو حظ عظيم.

والذين أوتوا العلم-كان في قلبهم العلم-قرؤوا الحدث على أن هذا مصيبة عليه وأن ثواب الله خير.

فمرادنا في كل جلسة لصناعة القراءة أن نقول كيف تصنع لنفسك القراءة الصحيحة، هذا مرادنا في صناعة القراءة، كيف تكون مع الذين أوتوا العلم فتقرأ الحدث كما ينبغي، تقرأ الكلام المكتوب كما ينبغي على الأوراق وتقرأ المكتوب في الكون وتقرأ الاحداث وتقرأ المواقف إلى أن تصل فتقرأ وجوه الناس الذين تعيش معهم، وهذا فن ويتقن الرضّع هذا الفن، انظري وهم في أحضان أمهاتهم يتقنون قراءة وجوه أمهاتهم، بمعنى أنه عندما يكبر قليلا ويعرف يمد يده لأمه وهي لاهية عنه أو تتكلم مع الناس

عندما ترضعه يقوم هذا الطفل بمنعها من الالتهاء! نعم، انظري هنا اجعلي عينيك عندي وكوني معي. هذه مشاعره، فهو يقرأ وجهها أنها غير مهتمة وهناك كثير ممن يفهمون حالات التوحد في حقيقتها هي عدم القدرة على الاتصال البصري والتواصل مع الآخرين، ويكون أحد أسبابه أنه لا يوجد قراءة متكررة من الصغير وهو رضيع لوجه والديه، عينيه لا تركز في الاشياء فتقرأها، وهذا كلام يحتاج إلى تفصيل، لكن المقصد أن نتصور مسألة ليست يسيرة أبدًا، وهي موجودة في أصل فِطَرِنَا هذا الذي يجعل القراءة حاجة، بمعنى نحن محتاجون أن نقرأ، أصل فطرتنا نحن محتاجون أن نقرأ محتاجون أن نترجم الأشياء هناك حاجة فطرية للعلم التي وسيلتها القراءة لأجل أن نصل إلى الاستهداء، وإلا ما كان اهتدى الناس إذا كانوا مستغنين في فطرهم عن القراءة، هم يحتاجون في فطرهم إلى العلم، ووسيلة العلم القراءة، كون فسيح كيف نقرؤه، أحداث كثيرة عليك وعلى الناس كيف

تقرؤها، وجوه تختلط بها وناس تختلط بهم كيف تقرأ ما يفعلون، ثم معلومات ترثها ميراث عظيم ترثه من الكتاب والسنَّة ومن فَهم من قبلنا كيف تقرأه، أصبح عندنا عناصر كثيرة تدخل في مسألة القراءة، لكن إذا بقيت القراءة في عقل الناس تعني التهجئة فهذا الذي أخرج الذي يسمى (الانتفاخ المعرفي)، انتفاخ معرفي فقط بالونات، ما فيها حقائق، ومن هنا يأتي كم كتاب قرأتِ؟ وبأي سرعة؟ وما هي سرعتك في القراءة؟...ليس هذا المقصود أبدًا.

حسنًا على كل حال، دعونا ندخل مباشرة اليوم في النموذج وسنبقى نكرر هذه الحقائق، لا بد أن نكرر على أنفسنا حتى تتغير مسألة جذرية ليست سهلة، طال المقال في تفسير القراءة ومناقشتها بهذه الطريقة، وتفسير القراءة بأنها مجرد التهجئة لا بد أن يتكرر على أذهاننا المفهوم الصحيح حتى يصير إحلال وإبدال، فنعلم أن القراءة هي هذه المسألة الواسعة التي من ورائها مطلب وهو "الاستهداء".

ذكرنا سابقا إن **القراءة تتأثر بالقارئ**، أي: من أنت؟ على حسب ما تكون تقرأ، على حسب ما عندك من خلفيات ستقرأ، على حسب مقصدك ستقرأ، أي حتى القراءة تدخل فيها نفسية الإنسان ومقصده وسلامة قلبه؛ لأن من الممكن أن تقرئي وجه الذي أمامك على أنه ينتقدك وممكن أن تقرئيه على أنه يريد أن يعينك على صواب الرأي وممكن أن لا تقرئيه أبدًا، فهذا كله معتمد على مَن أنت؟ كيف تفكر.

فإذًا القراءة تؤثر علينا ونحن نؤثر على المقروء.

 اليوم مثالنا قصة نوح-عليه السلام-في سورة هود، مطلوب منكم أن تفتحوا مصاحفكم على سورة هود، وسنقف وقفات مع السورة دائرة حول مسألة القراءة.

هيا بسم الله...

سنبدأ من آية: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[43])

آية (24) هي ختام الكلام العظيم الذي أتى قبلها، ثم تبتدئ القصة...ماذا يقول الله-عزَّ وجلَّ-في آية (24)؟

- {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} اللذان سبق ذكرهما: {كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ}، حسنًا من هنا تبدأ الوقفة الثانية، هذه هي الأدوات التي بها نقرأ لنصل إلى الرشد فالإنسان في الدنيا إما سميعًا بصيرًا، وإما أن يكون أعمى وأصم، فالأعمى والأصم هو الذي تُعرض عليه الحقائق ليقرأها فلا يراها، ويسمع الحقائق وتُتلى عليه فلا يسمعها.

حسنًا، هل هو فاقد الأداة؟ بمعنى فاقد البصر والسمع؟ لا، لكن الذي لا يسمع الحقائق كما ينبغي ولا يبصر الحقائق كما ينبغي مثله مثل الأعمى والأصم.

---

[43]() [سورة هود: 24]

إذًا نحن نحتاج في القراءة أن نكون مبصرين، وأن نكون سامعين، ولا نقصد الأداة بقدر ما نقصد الحقيقة، فإن البصير

-الأعمى حسيًا-يمكن أن يكون عالمًا، وتاريخ الحديث مليء بالعلماء الفاقدي البصر لكنهم ليسوا فاقدي البصيرة، يسمعون ويعرفون ويقرؤون من وراء سمعهم، إذًا قراءتهم مبنية على سمعهم الجيد الذي وراءه ترجمة قلبية جيدة.

- ثم يسألنا الله-سبحانه وتعالى-سؤال: {هَلْ يَسْتَوِيَانِ}؟ لا أبدًا، هل من يبصر ويعرف كل شيء حوله مثل الذي لا يستطيع أن يقرأ؟ لا يستويان، وهل يستوي الذي يسمع كل شيء بأذن واعية ويريد أن يقرأ ما حوله في الكون بصورة جيدة مع الذي يسمع ولا يعي؟ لا لا يمكن، سيختلفان. سيختلفان في أي شيء؟

أولًا: في القراءة.

ثانيًا: في الطريق.

ولو أقولها بطريقة مختصرة: سيختلفان في التفكير، والاختلاف في التفكير هذا اختلاف محوري، أنت كيف تفكر في الأمور؟ كيف تحللها؟ ماذا تدل عندك هذه الأمور؟

من لطائف الأمور لأجل أن تتخيلوا القراءة-هذه القراءة عامة في كل شيء، وتأتي بمصالح الدنيا والآخرة-: توجد قرى في المملكة يأتيها السيل في أوقات معينة، عندما يأتيها السيل يغرق عليها كل شيء، ومن مقدمات السيل انتشار الذباب بحركة خاصة له-يجتمع ويذهب يمنة ويسرة بطريقة معينة-يعرفها أهل هذه القرية، الآن الصغير فيهم تعلم قراءة هذا الشيء في الكون فأول ما يرى الذباب يعرف مباشرة أن السيل سيأتي فلا يهمهم والأشياء التي يخافون عليها يضعونها في أسطح منازلهم ويخرجون هم إلى أعلى منازلهم الصغير قبل الكبير يستطيع قراءة الحدث.

فهذا المقصود بالقراءة، لكن لو كان هذا فاقد لعقله أو لا يقرأ ورأى الذباب، كيف سيفكر؟ سيرى أنه مجرد ذباب عادي فبالتالي لن يفكر بأسلوب ينجو به.

هذا المثل ضربته حتى تتخيلوا حسيًا كيف أن الذي يقرأ جيدًا ينجو، فهذه هي القراءة الصحيحة، القراءة لا بد أن تؤثر على التفكير، وإذا أثرت على التفكير أثرت على القرارات، وإذا أثرت على القرارات أثرت على المصير.

الآن سنرى أنه لا يمكن أن يستوي في حكم أي عاقل الأعمى والبصير أو الأصم والسميع. لماذا لا يستويان؟ لأن البصير والسميع يستطيعان أن يفكرا من وراء ما يسمعونه ويبصرونه، ومن ثم يستطيعان أن يتخذا قرارًا سليمًا ثم يصلان إلى نتيجة صحيحة، وهذا واضح جدا في القصة.

القصة ابتدأت كما هو معلوم بالخبر عن أن الله أرسل نوحًا إلى قومه، وأمرهم أن لا يعبدوا إلا الله، هيا نرى كيف ترجموا وكيف

قرأوا الأشياء التي تحيط بنوح-عليه السلام-؟ ماذا قالوا؟ انظروا الآية (27): {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[44]

{مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا} ما المانع أن يكون بشرًا؟ كيف قرؤوا بشرية الرسول نوح-عليه السلام-؟ قرؤها مانعة للرسالة، هو بشر يأكل ويشرب، لكن قرؤوا بشريته مانعة للرسالة، كأنهم يقولون: لماذا فُضلت علينا؟، حسنا هذ القراءة...نحن نريد اليوم بالذات أن نعرف أن ما تحمله في قلبك يؤثر على ما تقرأه، هم رأوا النبي نوح-عليه السلام-ورأوا بشريته بدلًا من أن تدل على أن الله اصطفاه لأننا لا بد أن يأتينا بشر مثلنا لأجل أن يعلمنا؛ لأنه لا يمكن أن يرسل لنا جن ولا ترسل لنا ملائكة؛ لأنهم ليسوا من جنسنا، وأنه من رحمة الله أن أرسل بشر مثلنا، لكن نفوسهم تحمل

---

[44]() [سورة هود: 27]

حسدًا، إذًا كيف يقرؤون بشريته عندما تحمل نفوسهم حسد؟ تُقرأ البشرية على أنها عيب في الرسالة وطاعن في الرسالة وليس سببًا لقبول الرسالة.

المقصود بهذا الكلام، أن الإنسان عندما يحمل مانعًا لقبول الحق، يأتي إلى أمور قراءتها تكون في صالحه وهو يقرأها بخلاف ذلك.

الأمر الثاني: أنهم قرؤوا أمر آخر حول نوح-عليه السلام-قالوا: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ} يعني هؤلاء أخذوا قرارًا قبل أن يفكروا، بمعنى أول رأي أخذوه، هم يرون أنهم هم المفكرين، وأن الذين ءامنوا هم الذين لم يفكروا. أي: يجعلون التفكير سببًا للقبول، وسببًا لعدم القبول، انظري هم بأنفسهم يرون ذلك!

وهذه موضة (أني أفكر)! موضة منتشرة، كل الناس يتحدثون معك عن التفكير، لكن هل التفكير تبعًا للهوى؟ هو ممكن أن يسخر للهوى، بمعنى أنا في تفكيري أن هذه المسألة ليست حرامًا ليست

بمهولة، لماذا؟ لأن أنا أفكر بهواي وليس بالقواعد الصحيحة للتفكير.

الشاهد أنهم رأوا طعنًا على رسالته، أنه بشر، وأن الذين اتبعوه هم أراذل القوم، وكأنهم يقولون: هؤلاء الذين اتبعوك لا يصح قبولهم دليل على أنك مقبول، وهم وضعوا بذلك بين أنفسهم وبين قبول رسالته أن الذين قبلوا رسالته هم الأراذل وهذا كله نتيجة الهوى، فقرؤوا أحداثًا تحصل حولهم فوصلوا أن هذه الأحداث تمنعهم من الهداية.

- هل كون أتباع الرسول من الأراذل أو من الملأ يؤثر على صحة الرسالة؟

الجواب: لا، أنت لو كنت صادقًا، وتريد الحق، ستفحص نفس الحق، لا حامليه، وهذا الخطأ دائمًا يتكرر، يأتي فلان لا يريد أن يستقيم يقول: لماذا؟ أنا أشعر أنهم متشددون، أنت فكر في الحق

نفسه، لا علاقة لك بممارسات من يحمل الحق، لا بد أن تفصل بين أن هذا حق وبين ممارسات الناس؛ لأنك عندما تدخل قبرك لن تحاسب على ممارسات الناس، ولن يكون لك عذر في البعد عن الحق بسبب ممارسات الناس، أنت ستتحمل، هو أعطاك سمع لك أنت وأعطاك بصر لك أنت وأعطاك فؤاد لك أنت، أنت المسؤول عن البحث عن الحق فقرأت الأحداث بهذه الطريقة، إنما هي منتزعة من هوى الإنسان، من أجل ذلك تجدون من استقاموا-الذين يكونون في الكفر ثم يدخلون الإسلام-يرون المسلمين بكل أحوالهم فيجنبونهم على جنب ويفكرون في الحق، طالما أن هذا هو الحق إذًا سوف أتبع الحق، ويعرف يقرأ الأشياء؛ لأن الله خلق الناس مختلفين في طباعهم، مختلفين في انفعالاتهم، مختلفين في ردود أفعالهم، مختلفين في التعبير عن مشاعرهم، فحين يدخلهم الحق مهما كانوا سيؤثرون هم على الحق، فعليَّ أن لا أفكر في تصرفاتهم، بل أفكر في نفس الحق.

فقراءتي للحق وليست لتصرفات من يحمل الحق، وهذا لا يعذرنا أن نتصرف كما ينبغي، لكن نحن نتكلم عن الطرف الثاني، كيف تقرأ المسألة أنت تقرؤها بصور صحيحة فهذه القراءة للأحداث حجبت ناس كثيرين عن الحق وجعلتهم يرون أنفسهم معذورين على تركهم للحق، وهذا من فساد القراءة؛ لأن الصحيح أن تفهم عندما تقرأ الاحداث، مثلًا إذا ذهبت لمجلس علم وقام فلان في المكان ليدفعك أو يخاصمك، فتقول: "والله لن أذهب للعلم مرة أخرى"!

حسنًا لا تذهب، العلم لن يخسر شيئًا بعدم مجيئك، أنت لم تتمكن من قراءة الحدث كما ينبغي، كان الواجب عندما يحصل لك مثل هذا الأمر أن تقرأ الحدث بصورة صحيحة وتعرف دلالته، أنت تأتي وأنت متردد، تأتي وأنت متكبر، تأتي وأنت ترى نفسك أحسن من الناس، فعندما أتى الذي يحطمك وأتاك الاختبار خرج الذي فيك فقرأت الحدث كما ينبغي، والمشكلة أن الذي لا يقرأ أفعال الله

كما ينبغي لا ينتفع من تربية الله له، الله يربيه، ينقله من حال النقص إلى حال التمام، فإذا لم تقرأ كيف أعاملك، وإذا لم تقرأ كيف تجري عليك هذه الأقدار لتنفعك؛ فلن يتحسن حالك أبدا.

انظر كيف رأى قوم نوح-عليه السلام-الأحداث؟ رأوها بهذه الصورة: بما أنك بشر، وأن الأراذل هم الذين يتبعونك فهذا يعني أننا لن نتبعك، فسروا أن الأراذل دخلوا دينه وأنهم بادون الرأي-أي شيء يقبلونه ولا يفكرون-، ويروا أنفسهم أنهم أصحاب التفكير العميق، فجعلوا دخول الأراذل مانعًا لهم، ولم يفكروا في الحق، ولا في الأدلة أبدًا، بل تفكيرهم في الممارسات الخارجية.

فهذه من أفسد أنواع القراءات؛ أن تكون القراءة مبنية على الهوى والأعذار.

في الجملة الثالثة ظهرت حقيقتهم، هل تستطيعون إخباري كيف ظهرت حقيقتهم من الجملة الثالثة في الآية؟

- ماذا قالوا؟ {وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} فالمشكلة هنا: أنهم لو اتبعوا النبي سيصبحون في منزلة الأتباع، وهم يرون أنفسهم فوق الأتباع؛ لأنهم مبتلون بهذا الداء الذي يمنعهم من الاستسلام لأحد، فيقرؤا بصورة مقلوبة، وهذا الذي أردناه في هذه القصة، نحن نريد اليوم أن نبرز وبوضوح كيف أنك تؤثر على المقروء، وأن المقروء يؤثر عليك، فحولك أدلة واضحة لماذا لا تنظر إليها؟! لأن هذه الأدلة معناها أن أتنازل عن مكاني!

مثلًا: نأتي في موقف وتكون في جلسة وهم يقولون الحق، وليسوا بأحبابك وليسوا على هواك، أو أنت وإياهم في تنافس، وأنت تعلم أنك إن سلَّمت أن هذا حق، فهذا معناه أنهم سيكونون أفضل منك، أعلى منك، فكيف تقرأ الحق؟ تقرؤه أنه ليس بيانًا للحق الذي تحرص على بيانه، مع أنك مستقيم وصاحب دين وتحب نشر الحق، لكن في هذا الموقف لو قال أولئك النفر الحق

وأنت لم تقله؛ ستقرأ الحدث على أنه إظهارًا لهم، وأنت لا تريد أن يظهروا عليك، فماذا تفعل؟ تحرك هذا الحق فتقلبه على أصحابه وتجعله باطلًا وترفضه وتشكك فيه؛ لأن الحدث الذي أمامك تقرؤه على أنه إهانة لك.

لو جاء أحد ونصحني أعتبرها إهانة لي، لو جاء أحد وفعل كذا وكذا من الأمور أعتبره تقليلًا من مقامي. هذه القراءة التي تعتمد على نفسيتك، التي تعتمد على هواك، فهذه ما أفسدها من قراءة؛ لذلك انظروا ماذا قالوا في الكلام؟ قالوا: {وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} ماذا كان رد النبي الكريم؟ {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}[45])

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} بينة واضحة قرأتها وقرأها القوم معي: {وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ}

---

[45]() [سورة هود: 28]

عميت عليكم، وهذه الكلمة فيها سر عجيب يحتاج إلى وقت لبيانه؛ لأن الآية لم تقل: "أنتم عميتم عنه" ، الآية تقول: {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ}كأن البينة عميت عليكم بمعنى أن الآية وصفت بالعمى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} يعني أصبحت عمياء لأن في القرآن وصفت الآيات بأنها مبصرة ووصفت بأنها عمياء، كقوله تعالى: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}[46] آية واضحة يبصرها كل بصير وهنا: {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} نقاشناالآن سيكون في قوله تعالى: {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ} أي أن الأمر واضح وتوجد بينات ويوجد وحي وتوجد دلالات تامة الوضوح، انظري الفاء في: {فَعُمِّيَتْ} هذه تسمى (فاء التعقيب) أي: ليس هناك فاصلًا زمنيًا بين فترة إتيانه البينة والرحمة وبين خفائها عليهم، وهذا يدل على أنهم هم بادوا الرأي وليس من اتبعوا النبي نوح-عليه

---

[46]() [سورة الإسراء: 59]

السلام-، فهم بادروا بالإنكار قبل التأمل، هم فعلوا هذا الفعل، وهذا رد واضح جدا على كونهم يقولون: "هؤلاء الضعفاء الذين دخلوا في الدين بادوا الرأي" ، كأنه يقال لهم: "أنتم الذين بادرتم بالإنكار قبل التأمل" لأن هذه الفاء تدل على ذلك.

- الآن نأتي إلى {فعُمِّيَتْ} تفسيرها بالإجمال: أخفيت عليكم أي حصل لها خفاء، لا ننسى في أول السياق سمعنا: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ} فعميت من هذا الاشتقاق، أتت من العمى، لا تعني أنكم لم تدركوها بل هي لم تدرككم، فكأن البينة تبحث عنكم وعن القلوب المستعدة فلم تراكم! {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} مرت عليكم كأنها عمياء، لا تراكم، لماذا تُعمّى على أناس لا تراهم وترى الآخرين؟ لأنهم اختفوا من طلب الحقيقة، هم لا يريدون طلب الحقيقة، فعندما لا يريدون طلب الحقيقة فالبينة لا تراهم.

المقصد: كما أن الأعمى لا يهتم للوصول إلى مقصده، فلا يصل إليه، كذلك البينة أصبحت في حقكم كالعمياء، ما رأتكم لأنكم لستم موجودين، لستم طالبين لها.

فمعنى ذلك أن الآيات تكاد أن ترى الصادقين، كأنها مبصرة، مثل آية: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} فترى الصادق فتدخل إلى قلبه، وهنا الآية أصبحت كالعمياء-يسمى هذا الأسلوب أسلوب القلب، يقلبون المسائل، مثل أن تقول: (دخل الخاتم في يدي) والحقيقة أن يدك التي دخلت في الخاتم، وتقولين: (دخل النعل في قدمي) والحقيقة أن قدمك هي التي دخلت في النعل، النعل في مكانه أنت ذهبت وأدخلت قدمك فيه. فهذا يسمى في لغة العرب "القلب" والعرب تقلب المسألة للبلاغة، والصحيح والواقع أنك تذهب لتبحث عن الآية فتقرأها وتفهمها.

وهذا من البلاغة التي تدل على أن من كثرة استقرار الباطل في نفس الناس؛ يجتنبهم الحق حتى لا يمر الحق عليهم من كثرة الباطل الذي في نفوسهم.

بمعنى نكون جماعة واحدة، نكون إخوان من بطن واحدة، تربينا نفس التربية تمر علينا نفس الأحداث، لكن لا نقرؤها بنفس الطريقة، عميت عليكم ماذا نفعل لكم؟ ليس شأننا أنها عميت عليكم؛ ولذلك ندرس سورة واحدة وندرس سويًا علم واحد ونخرج مختلفين على حسب ما في القلب من استعداد وطلب وقبول لليقين، فعندما نأتي لنصنع القراءة نصنعها بقدر ما نبحث عن أدواتها نبحث عن قلب صادق في طلب الحق، لا بد أن أبحث عن قلب صادق في طلب الحق هذا القلب عندما يقرأ كلام الفلاسفة يصيبه الغثيان، ويرفض كلام الملاحدة ولا يفرح بأي كلام فلسفي، ويظهر واحد لنا بظاهرة في المعاني، وببعض المصطلحات! المسألة ماضية على الموضة وليست بقلب يقبل الحق ويرفض

ضده، ويلفظ ضده ويدفعه. إذًا ونحن نصنع القراءة لابد أن نعلم أن المخاطبين في مواقف كثيرة لا يدركون حقيقة ما يقرؤون فيصبحوا كالعمي، لا يدركون حقيقة ما يقرؤون، وذلك مثله عندما ندرس الطلاب في المرحلة المتوسطة حكم السحر، وتفاصيله، وكيف أنه جريمة في حق الله، ثم يخرجون من الدرس يفتحون أي موقع ويقولون: هذه ألعاب سحرية نلعبها، وهذا كتاب يعلم السحر ويحملونه، فماذا يسمى هذا؟ هل هذه قراءة صحيحة؟ لا، بل هذا الذي تهجوه بألسنتهم ما وقع حتى قريب من وجدانهم ولا بصورة، عميت عليهم فلا نستطيع أن نلزمهم إياها.

إذًا معنى ذلك أن المقروء بالتهجي-بالحروف-والمقروء بالكون، والمقروء بالسماع، يؤثر عليه مقصد القلب، القراءة تؤثر عليك أنت تؤثر على القراءة، وأكيد أنكم مررتم بمواقف كثيرة-خصوصًا اليوم ونحن نستعمل أدوات التواصل-رأيتم فيها كيف أن ما في قلب القارئ يؤثر على المقروء.

هنا انتهينا من الوقفة الثانية: أن الناس ينقسمون إلى أعمى وبصير وأصم وسميع وهذه أدوات القراءة بالنسبة لنا.

الوقفة الثالثة: موقف بين نوح-عليه السلام-وابنه.

سنرى في نفس القصة كيف قرأ ابن نوح-عليه السلام-الحدث؟

سنناقش آية رقم (42) قال تعالى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ}([47])

الأحداث هنا واضحة ومعروفة، وهي أحداث الطوفان، وكيف أن نوح-عليه السلام-أمر من معه بأن يركبوا السفينة، وهذه السفينة تجري بهم في موج صفته: كالجبال من ارتفاعها وضخامتها، في هذا الموقف ينادي نوح-عليه السلام-ابنه، وهو كان في معزل، لم يكن قريبًا، في معزلٍ عنه يقول له-وبشفقة الأب وبمعرفة الأب الحقيقة-: {ارْكَبْ مَعَنَا} الآن انظروا كيف يقرأ

---

[47]() [سورة هود: 42]

الحدث الذي حوله مع أنه موج كالجبال لكن هذا العجيب في القراءة، هو في موج كالجبال في مستوى الجبال، في ارتفاعه، ومع ذلك رأى أنه يستطيع أن ينجو فقال له: عندي حل: {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} كيف قرأ الحدث!؟ كيف قرأ الطوفان!؟ قرأه: ماء مرتفع يستطيع أن ينجو بطريقته، يقول له الرسول-الأب المشفق الذي يعرف الحقيقة-: ليس بهذه الطريقة تقرأ الحدث، ليس بهذه الطريقة ستنجو، ليس هكذا ستخرج من الموقف، لا تنظر للأمور التي حولك على أنك تستطيع أن تنجو منها، فيقول له الابن: {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} اليوم تقولين: لا تجلس مع هؤلاء الذين أراهم كأنهم يستخدمون المخدرات، لا تجلس مع هؤلاء الذين يتضح عليهم الانجرار إلى ممارسات باطلة، لا تجلس مع هؤلاء الذين تميل أفكارهم إلى كذا وكذا من الانحراف، فيقول لك: أنا عاقل، وأستطيع أن أتصرف، ولن يستطيع أحد التأثير عليَّ-في الأوهام لن يستطيع أحد التأثير

عليك-، أقل الأشياء في الدنيا تستطيع أن تؤثر عليك لكن لأنك لا تعرف نفسك تقول ذلك، ولا تعرف الحقيقة، كيف يقرؤون الأحداث؟ هذا الفرق الشاسع بين الناس في القراءة العجيبة، المفترض عندما أقرأ مثل هذا الآن، وأرى فساد قرأته أكون خائفة جدًا، كم من مواقف الإنسان يظن نفسه أنه: {سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}كم من مواقف يشعر الشباب فيها أنه لن يستطيع أحد جره لما يريد، ويظن أنه متأكد من نفسه، ويعتمد إلى تربيته ولا يقبل الشك ومن هذا الكلام، والذي تعلمه من هنا وهنا، فهو قرأ الحدث بصورة تدل على أنه يبطن في قلبه الكفر، تعالوا نحلل المسألة: الناس يغرقون ويُقال له تعال انجُ، لكن هو لم يكن مصدقًا، حتى لما رأى بعينيه الأمر؛ لا زال غير مصدق أن الناس سوف يغرقون، وأن ما وعد به أبوه ليس بعيدًا عنه.

فصلة القرابة والرسالة توجبان عليه القبول، لكن ما قرأ المسألة بسبب الكفر الذي بداخل قلبه والعياذ بالله، فكفره جعله حتى

المرئي الذي أمام عينيه لا يعرف يفسره، وهذا من أعجب أحوال الناس، أن يكون الموت والهلاك قريب ومع ذلك مُصر يقرأ الحدث كما كان يقرؤه سابقًا، {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} فقال له أبوه: {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} لا يوجد أحد سيعصمك، لكن العناد! {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} ويستحق أن يُغرق.

نحن موقفنا الآن أن نعلم أنه عندما يكون في القلب الفساد تعمى العين عن رؤية الحقائق، رأينا كيف عمت عينه عن رؤية الحقائق حتى وقت وقوع الحدث، متى سيقرأ الإنسان قراءة صحيحة إذا كان لم يقرؤها حال وقوع الحدث؟! لكن هذه الصورة ما أتت لأجل أن نقول إن ابن نوح فعل هذا فقط، بل لأجلنا كلنا، لنعلم أنه إذا فسدت مقاصد قلوبنا قرأنا الأحداث الدافعة للحق والبيان بصورة الأعمى الذي لا يرى، انظروا عميت عليه ما رآها، تقول: الله سيغرقهم جميعًا، وهو يفكر ويقيس الجبال! هذه الموجة الكبيرة

وصلت لهذا الجبل، وهذه الموجة الكبيرة وصلت لهذا الجبل، لا، أكيد هناك جبل آخر سيعصمني من الماء، لو فكرتِ جيدًا سترين كيف العمى يوصل الإنسان إلى هذه الحالة! أنت أصلًا، كيف ستأوي إلى جبل يعصمك من الماء والأرض تغرق؟! كيف ستنتقل أصلًا لتصل إلى الجبل الذي يعصمك من الماء، إن كان هناك جبل سيعصمك من الماء، كيف ستصل إليه أصلًا؟!

فهذا النموذج متكرر في العمى في قراءة الأحداث، ويشبه ما يعيشه العالم الإسلامي، الفجور، الاختلاط، ماذا أتى للعالم الإسلامي؟ أتى للعالم الإسلامي بكل مهلكة، والإحصائيات الرسمية وغير الرسمية تثبت ارتفاع عدد اللقطاء، ثم كأننا لا نرى ولا نسمع، كأن الذي يصير في العالم الإسلامي لا يُرى ولا يُسمع، يكرر الناس نفس التجربة في الأماكن الأخرى، ويقولون: لا نحن فقط نكررها هنا، أو نفعلها هنا، سنأوي إلى جبل يعصمنا من الفجور، وهي نفس القصة تتكرر! فالقصة التي جاءت على العالم

الإسلامي من أخطار الفجور والاختلاط، ويرونها في الشرق والغرب، يكاد يكون أكثر من الثلث من الحوامل! ماذا يريدون؟! هذه التجربة أتت في الغرب، وهذه نتائجها، ستأتي في الشرق ويكون لها نتائج مختلفة!! لماذا!! لماذا تأتي النتائج في الشرق مختلفة؟! ما دام قد حصل الاختلاط، ومادام هناك امرأة ورجل ستكون نفس النتيجة، ونعيد: المشكلة تتكرر في بعض دول العالم الإسلامي، ألا يكفينا ما صار لهم؟! فنقوم وننقلها إلى غيرهم، كل هذا تحت قانون: {سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} لا نحن عندما ننفذها ستكون مختلفة لأن وضعنا مختلف!! كل الناس نفس النتيجة، وقس على ذلك، أشياء كثير تحصل كون أنك ترى نفسك مختلف في وضعك، فهذه نتائج عدم القراءة الصحيحة لكتاب الله المكتوب في الصحف، وعدم القراءة الصحيحة لسنن الله الموجودة حولنا تساوي ما نراه من انحدار في كل شيء، سواءً يتصل بالقيم أو يتصل بالمسالك العامة.

المقصود بيان، كيف أن القراءة تتأثر بالقارئ، ومقاصده، إذا كنت تريد الحق فستصل إليه، أما إذا كنت لا تريد الحق فسترى الأمور بطريقة غير صحيحة.

الآن سأترك هذا النوع من القراءة، وأتجه إلى قراءة المكتوب بالحروف ونقرأ آية (44):

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}([48])

هذه آية عجيبة لمن تدبرها جيدًا، دعونا من الكلام الذي فات، وسنتكلم عن قراءة تحدثك عن عظمة الله، كيف تقرئين آية، والآية تحملك لتصور عظمة الله، وأبدأ الكلام بقول بعض البلغاء، كانوا يقولون: " إذا قرأنا شعر زهير وجدنا زهيرًا، وإذا قرأنا شعر امرؤ القيس وجدنا امرؤ القيس، وإذا قرأنا القرآن وجدنا الله "

---

[48]() [سورة هود: 44]

وهذا الذي سيكون واضحًا جدًا في هذه الآية، والنقاش التالي سيكون دائر حول كيف أن هذا الكتاب عندما تقرئينه جيدًا يقول: "لا يمكن إلا أن يكون من عند الله" وأنت تري هذا بين السطور، بين الحروف، لكن هذه القراءة تحتاج إلى شيء من الإتقان، تقرئينها بطريقة متقنة، بحيث تكون نتيجة القراءة تصور العظمة.

اقرؤوا الآية لدقيقة واحدة ودعونا نرى، كيف أن مبدأ العظمة واضح فيها:

- {وَقِيلَ} هذا خطاب.
- ماذا يُقال؟ {يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ}.

من ينادي الأرض؟ من هذا الذي يستطيع أن ينادي الأرض فتجيبه؟ الشعراء ينادون الأرض حزنًا، ينادون الأماكن رثاءً، لكن هنا يقال لك: الله ينادي الأرض ويأمرها ولم يقل لها: "يا أيتها الأرض"؛ لأن هذا فيه من العناية ما فيه لكن يقول لها:

{يَا أَرْضُ} فالنداء بالياء لا يكون إلا من السلطان الذي يأمرها أمرًا: {ابْلَعِي مَاءَكِ} انظري لدلالة (الكاف) لم يقل: "ابلعي الماء" بمعنى أن هذا ماؤك الذي خرج منك وأنت مأمورة أن تعيديه فيقال: "ابلعي ماءك".

- ثم يأتي الأمر الثاني للسماء: {وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} أمرها بما يخصها، فأنت لا تسمعين في كلام الناس أبدًا أنهم يأمرون الأرض أو السماء إنما هذا أتى من مبدأ العظمة أنه-سبحانه وتعالى-هو العظيم ثم تسمعين:
- {وَغِيضَ الْمَاءُ} تفهمين أنه ما غيض إلا بأمر، بمعنى أن الماء قد فُعِل فيه ولم يكن الماء فاعلًا،
- ثم يأتي التأكيد {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} وإذا قضي الأمر وأنت تعلم أنه لا يقضي في الأمر إلا من يملك الأمر، فهذه كلها مبادئ العظمة.

إذا وقع الكلام في القلب كما ينبغي، سيأتي الإحساس بمبادئ العظمة.

- ثم يأتي قوله تعالى: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} انظري كيف أضمرت السفينة، لم يذكرها، وهذا شرط الفخامة كما يعبرون للدلالة على عظم الشأن هنا: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} شأن عظيم، هذه السفينة التي تحملكم.
- انظري كيف ابتدأ الكلام {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ}{وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فهذا الكلام ما يصدر إلا من عظيم.

هنا تأتي مشكلة عظيمة أنا أشعر بها وأنتم تشعرون، وهي أن قدرتنا على هذا التذوق حتى عندما نسمعه ضعيفة جدًا، كيف تعرف "إن القرآن معجز بألفاظه" وتكون تاليًا وقارئًا وفي مدرسة تحفيظ وعندك وردك الذي تقرؤه ومع ذلك لم تستقر في قلبك عظمة القرآن؟!

الآن نأتي إلى مشكلة جديدة في صناعة القراءة، هي: "لغتك"

وهنا لا نقصد ب "اللغة" معرفتك للمفردات فقط-طبعًا أول مشكلة ضعف معرفتك للمفردات-لكن تأتي مشكلة أخرى ثانية خطيرة جدًا، وهي: عدم فهم المراد من نظم الآيات بطريقة معينة.

هل الوصول للغاية من الكلام يكون لمجرد وجود الألفاظ أم بنظمها؟ بالنظم، أن تأتي هذه الكلمات مع بعضها، وهذه الكلمات أحيانًا يكون فيها حرف عطف رابط، وأحيانًا لا يكون فيها حرف عطف، بحيث لا تستطيع أن تعبر عن الحقائق بغير هذا النظم أبدًا.

ونأتي هنا إلى ضعف القراءة الذي سببه ضعف معرفة اللغة من جهتين:

- من جهة الألفاظ والمعاني.
- ومن جهة النظم.

ماذا نقصد بـ"النظم"؟ (النظم) كلمة تعني: عقد منظوم، حبات لؤلؤ أُختيرت ثم نظمت، كل اللؤلؤ جيد النوعية بماذا يختلف عقد عن عقد؟ بنظمه، في النظم. فيأتي العربيّ-الذي يتكلم العربية-على أبرد ما يكون ويقول: أنا لا أحب اللغة العربية-التي اختارها الله ليتكلَّم بها-! هكذا يقول وهو لا يشعر بما يقول.

وأيضًا يأتي آخر يقول: "أنا أظن أن لغة كذا ستبقى بعد مائة عام-ويأتي بلغات من هناك وهناك-! بل ستموت كلها وتبقى اللغة العربية؛ لأن الله تكلم بها، فنحن عندنا مشكلة أساسية (تعظيم الله) تعظيم الله هذه مشكلة أساسية نعيشها، فجر عدم تعظيم الله عدم تعظيم اللغة التي تكلم بها الله، ونحن يؤسفنا حقيقة أننا لسنا متصورين أن الضعف في اللغة والضعف في فهمها يساوي حتى ضعف في شخصيتنا، يساوي حتى ضعف في تفكيرنا، انظري إلى الذي لا يتقن العربية ويأتي بلغات متعددة، انظري حين يريد التعبير عن شيء بسيط، يصعب عليه تكوين جملة مفيدة تصل

إلينا! وأتى الناس يزيدون البلاء بتعبيرات ليست موجزة ولا بلاغية، بل يعبرون بكلمات عامية بحسب ما يرد على بالهم، وكل هذا يخرج جيل ضعفاء حتى في تفكيرهم؛ لأن إناء التفكير اللغة، أنت كيف تفكر؟! باللغة فأخرجنا للمجتمع ضعفاء، خائري القوى، لا يعرفون كيف يفكرون في المسائل كما ينبغي. وطبعا هذه قضية يطول المقام بذكرها، لكنها ليست مقصدي الآن، أنا أقول: **إن الذي يريد صنع القراءة لا بد أن يصنع اللغة**، لا بد أن تكون لديه لغة، وهي شيء مهم ولا أقصد أن تعربوا وتقولوا: "هذا مبتدأ وهذا خبر" لكن أريد أن تعرفي وأنت تقرئين في القرآن أين مبتدأ الكلام، وأين خبره، لا تعربينه لكن الله ابتدأك بكلام وأخبرك بخبر، أين هو؟ نأتي نقرأ كلام عظيم، الله يتكلم به ولا تفكرين "من الفاعل هنا"؟ "من ينادي هنا"؟ فمن ثم تمرين على أسماء وصفات وأفعال لله ولا تعرفين أنه فاعلها؛ لأنك ضعيفة في اللغة، وتظنين أن اللغة تقتصر على الإعراب، وأن النحو الذي يُدرس في

المدارس هو غاية اللغة، لا، بل هو مفتاح اللغة، فإذا ما ذقتها بفؤادك فلن تستطيع أن تقول: "هذا القرآن معجز" لأن الإعجاز كله دائر في الإعجاز اللفظي، ومن سلم من الناس من هواه اعترف أنه لا توجد لغة فيها من البلاغة والفصاحة تفصح عمّا في فؤاد الناس كاللغة العربية، والسبب واضح، حتى أن كِبار البلاغيين كانوا ينازعون في أن الله أنزل هذه اللغة إنزالًا.

وإنما اختص الله اللغة العربية للكلام بها؛ لأن فيها من البلاغة ما يُعجز عن وصفه، فهي توصف دقائق أحوال النفس وتوصف دقائق أحوال الموصوف، ولما كان العرب يتكلمون بها قبل الرسالة فهذا كان من أجل أن يصل الناس إلى غاية الفصاحة بعد ذلك ينزل القرآن فيعجزوا وهم في غاية الفصاحة عن الإتيان بمثله فتصبح آية إلى آخر الزمان فهذا كله يصنع قارئ وقراءة، لكن عندما تترك هذا كله وتأتي تقول: "مسابقات القراءة"-وأنا أتكلم عن مواقف حقيقة-والحقيقة أننا لو سألنا بعض من يدخلون في هذه

المسابقات وقلنا: هذه الجملة أين خبرها؟ قد لا يستطيعون الإجابة! وهذا دليل على أننا نبني على صفحة نهر لا نبني على أرض، ويكون الهدف من مسابقات القراءة: كم كتاب قرأتِ؟! لكننا نتكلم عن آليات القراءة وإذا قرأتِ اكتبي ملاحظاتك، واكتبي ماذا تفهمين من وراء الكلام الذي تقرئينه.

فلا بد قبل أو أثناء طرحنا لمفاهيم القراءة وصناعتها أن نقول: أول شيء تفعله في نفسك أن تكون ثري في اللغة، ثري في معانيها، والحقيقة أي أحد يريد أن يعبر عن مكنونه يجمع في فؤاده المعاني، ثم المعاني تختار ألفاظ تنطق بها. أي أن المسألة ليست عكسية كما تتصورون أنت الآن يوجد في قلبك معنى عميق تريد أن توصله يريد أن يخرج، ولأجل أن يخرج من فؤادك إلى لسانك، هو يختار من ثروتك اللغوية ألفاظًا فتعبر عنه، فمعناه:

- على قدر ثراءك في اللغة، على قدر ما تكون الفكرة في فؤادك.

- أن الفقر اللغوي يساوي ضعف في التفكير، وضعف التفكير يعني ضعف اتخاذ القرارات.

وهذا سيؤدي إلى إنتاج شخصيات تافهة-هذه التي تظهر في صفحات الإنترنت أو تظهر وجها لوجه-وأكيد ونحن نربي أبنائنا نشعر بالاحتراق على شبابنا الذين يوجد شباب في مثل سنهم قادة وهم على التافه من الأمور يبحثون، لا يحسنون التفكير، وأنتِ تتمنين جزء من طاقتهم تكون لك من أجل أن تقرئي وتبحثي وتفعلي لكنهم تائهين وهذه هي السلسلة: لا يعرفون كيف يفكرون، لماذا؟ لا توجد عندهم ثروة فكرية ولا لغوية، فيعرفون المعرفة فينتجون المعرفة.

على كل حال، لا نريد أن نقع في مشاعر الاكتئاب مما يفعلون على قدر ما نريد أن نؤكد على أن مسؤوليتنا ونحن نصنع القراءة أن نكتسب ثروة في اللغة، فعلينا أن نهتم بنقطتين:

- من جهة المعاني تصبح عندي الألفاظ التي تحبس معاني واضحة.
- ومن جهة أخرى النظر إلى نظم الكلام.

لا بد أن تنظري إلى نظم الكلام، لا بد أن تعرفي كيف يرتب الكلام؟ كيف يتقدم ويتأخر؟ وكل هذا يزيدك، وهذا قربة إلى الله وليس ترفًا. فأنت كلَّما زدت ثراء في اللغة وكلَّما تصورت النظم كلَّما كانت النتيجة أن تتيقن أن هذا الكتاب نزل من رب العالمين، والذي يقول: "أنا متيقن" نقول له: في الشرع أنت مأمور بزيادة اليقين.

وها هو إبراهيم-عليه السلام-وهو إمام الموحدين طلب من الله-عزَّ وجلَّ-ما يزيده يقينًا، فطلب اليقين هذا أمر مطلوب وأنت قد أتاك نبيك محمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-ومعه هذا الكتاب الكريم فعليك بالانتفاع به وبذل الجهد في حفظه وفهمه وزيادة على ذلك

المطلوب أيضًا زيادة اليقين بأن هذا الكتاب من رب العالمين والذي يزيد يقينك هو نقطة التحدي، وما هي نقطة التحدي التي حدثت لكفار قريش ولغيرهم للعرب عمومًا؟ نقطة التحدي كانت هاتوا مثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته في التعبير عن المعاني بهذه الألفاظ وبهذا النظم العجيب فكل كلمة في القرآن كانت العرب تستعملها إلا فيما ندر في تحويل بعض الكلمات من معنى لغوي إلى تحويل شرعي مثل الصلاة مثل الحج، لكن كل القرآن كانت العرب تستخدم ألفاظه، لكنه أتاهم بنظم يعجزون عن الإتيان بمثله.

ونحن قرأنا سورة هود وقرأنا القرآن بقدر أعمارنا وما شعرنا أنها تدل على العظمة-طبعًا العلَّه واضحة-وهذا الذي يخيفنا أن نكون ممن عميت عليهم الآيات، كلام عظيم يدل على عظمة الله يمر من جانبنا ولا يوصلنا إلى الهداية. شيء مخيف!

على كل منَّا أن يفعل ما يستطيع والاستطاعة هنا كما اتفقنا ستدور أصلا في التركيز في أمرين:

- لا بد أن تزداد من الثراء اللغوي.
- تعرف معاني الكلام والنظم.

نهاية اللقاء الثالث

اللقاء الرابع

محتويات الدرس:

- القراءة ليست حصرًا على التهجي.
- القراءة معناها واسع يشمل ما تراه العين وتسمعه الأذن ويترجمه القلب.
- مفهوم القراءة.
- مثال على القراءة من سورة هود.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن الذين صدقوا في التعامل معه فكافأهم ربهم بأن يكون القرآن ربيعًا لقلوبهم، ونورًا لصدورهم، وجلاء أحزانهم وهمومهم...اللهم آمين.

نحن في هذه اللقاءات نتناقش في مسألة، كنّا نؤكد ولا زلنا نؤكد أنها ليست من الترف العلمي، وهي مسألة:

(صناعة القراءة)

وموضوع القراءة هذا يكاد يكون موضوع مبتذل، من كثرة طرحه والنقاش فيه، واستهلاكه في المناقشات. وغالبًا يطرح هذا الموضوع-موضوع القراءة-من جهتين:

1. إما الكلام حول أهميته، وأنه أمر مهم وأن الأمم لا تكون إلا بالقراءة، وإلى آخر المدح الذي تُمدح به القراءة. ونحن نوافق على هذا المدح بل وأكثر من ذلك!

2. أو يتكلم الناس عن المهارات التي تتصل بالقراءة، بمعنى: كيف تكون قارئًا جيدًا، كيف تقرأ بسرعة، إلى آخره...

وكلا الأمرين سواء الكلام عن أهمية القراءة أو الكلام حول مهارات القراءة إنما يقصدون به القراءة التي هي (قراءة الحروف المكتوبة في الكتب)، ونحن لا ننكر إن هذه قراءة، بالتأكيد هذه قراءة، لكن نوع واحد فقط من أنواع القراءة.

فنلاحظ أمرين في المطروح:

1. المدح.
2. المهارات.

أولًا: تجدين المدح غالبًا يدور حول القراءة دون نوعيّتها، لا انتقاء في القراءة! بل بالعكس، دائمًا يمدحون عدم الانتقائية، دائمًا اقرئي أي أمرٍ يقع بين يديك!

وماذا لو وقع تحت يدي كتاب يعلم السحر؟ لا بأس، اقرئيه أنتِ لديكِ عقل ينتقي! وبالتأكيد هذه ثقة في غير مكانها، كَوْني أعتقد أنني أستطيع الانتقاد في كل مرة ولا يتسرب لي شيء، أكون ما عرفت نفسي حق المعرفة، وما فهمت ما هو الإنسان وكيف يتكوّن تفكيره! وما فهمت كيف يحصل الزيغ والضلال! وما فهمت أن شبهة ممكن أن يلتقطها القلب وتذهب به.

ثانيًا: نلاحظ أن الاطروحات غالبًا في مسألة القراءة لا يوجد فيها تمييز بين الغثّ والسمين، بل يقولون: اقرئي وأنتِ لديك عقل يميز ولديك قدرة تستطيعين بها طرد الذي لا يناسبك وقبول ما يناسبك.

ثالثًا: يُلاحظ رغم أنهم يؤكدون على مهارات القراءة ودرجات معاملة المقروء من التفكير والتحليل إلا أن كل هذه المهارات تعود تحت خط المطلوب، غالبًا من يتكلم عن التحليل أو التفكير في المقروء،-أيًا كان هذا المقروء-أجد أن ليس لديّ أصلًا قوانين للتحليل، للقبول، فهل أحلل هذا المقروء على أساس أنّي أقبله؟ على أساس أنّي أرفضه؟ أحلله على أساس أي شيء؟

فهم يتكلمون عن مهارات التفكير وعن ما يجب أنْ يكون عليه القارئ، لكن غالبًا بسبب عدم الانتقائية في المقروء تكون هذه النتيجة الخاطئة، "اقرأ ما تريد وأيضًا اقرأ كما تريد".

"اقرأ ما تريد" في حدّ ذاتها مصيبة و "اقرأ كما تريد" تزداد المصيبة مصيبة.

لأن "اقرأ كما تريد" ماذا تعني؟ كأنه عقلك حاكم على ما تقرأه، أنت تعطيه الصحة، كونه صحيح، كونه باطل، تقتنع به، لا تقتنع به، إلى آخره...

وهذا كله يجعل الدعوة إلى القراءة خطر يجب التحذير منه، وليس أمرًا نحتاجه ولا ندعو إليه! بهذه الصفة القراءة تكون هي السبب الذي أتى بالأفكار الإلحادية لنا، تكون القراءة هي السبب للتّشْكِيك في الشريعة والدين.

نعود مرة ثانية نؤكد على بعض المسائل التي اتفقنا عليها من بداية رحلتنا في صناعة القراءة.

أولًا: كلنا لابدّ أنّ نتفق ما معنى القراءة، ينبغي أن يكون مفهوم القراءة واضح؛ لنبني عليه الكلام القادم.

- القراءة ليست حصرًا على التهجّي.
- التهجي يعتبر بالنسبة للقراءة وسيلة.

ثانيًا: القراءة معناها واسع يشمل ما تراه العين وتسمعه الأذن ويقوم القلب بترجمته، بفهمه، بقبوله يَثْبت في القلب، فنصل أن هناك علاقة بين ما تسمعه الأذن، تراه العين، وما يستقر في

الفؤاد. ولقد ركزّنا على هذا المعنى في سورة السجدة، جاءنا الكلام فيها عن السمع والبصر وأن الله في أول الأمر قد امتنْ علينا بأنه خلقنا وخلق لنا سمع وبصرنا، ثم بعد امتنانه بالسمع والبصر، امتنّ علينا بالفؤاد.

فأصبحت هذه الثلاث أدوات التي يملكها الإنسان، سمع وبصر يمتلئ بهما الفؤاد. وتكررت كلمة اليقين في سورة السجدة، فوسيلة اليقين: السمع والبصر، ما الدليل أن اليقين بوابته السمع والبصر؟

أن الكفار يوم القيامة يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[49]

أي أنهم لما رأوا بأعينهم، وسمعوا بآذانهم، وصلوا لليقين. هذه هي القراءة، وهذا هو المطلوب من القراءة؛ ولذلك في آخر السورة قال تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ

---

[49]() [سورة السجدة: 12]

يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ}[50]) إذًا إذا رأوا جيدًا، وسمعوا جيدًا، ماذا يفعل القلب؟ يقرأ الحدث، يترجمه، يفهمه. فإذا نَظَرتَ العين إلى المكتوب، المخطوط باليد، الحروف تهجّتها وتوقّفت عند "التهجي" فهي لم تقرأ. بل لا بد أن نقرأه، والقلب يترجمه.

إذا نظرنا إلى الكون، القلب يترجمه، إذا سمعنا الأخبار نقرؤها والقلب يترجمها. ضعي القراءة مكان ما تريدين، لكن لابدّ أن نفهم أنّ السمع والبصر والفؤاد أساس المسألة.

- القراءة ليست هي التهجئة والذي يؤكد لنا هذا الدلائل الشرعية التي سبق أن ذكرناها[51].
- النتيجة: القراءة لا تستلزم النظر في شيء مخطوط.

ثالثًا: الكلام حول المنافقين وذمّهم:

---

[50]() [سورة السجدة: 26]

[51]() أمر جبريل للنبي بالقراءة، وأن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يقول للصحابة: "اقْرَأْ بفاتِحةِ الكتابِ".

كيف أن هؤلاء المنافقين يذمُّون مع قراءتهم للقرآن؟! كأنه يُقال: هم قرؤوا في ظاهر الأمر لكن ليست هذه القراءة لا المحمودة ولا المقصودة. فالناس باقون على المعنى الضيق للقراءة وتركوا المعنى الواسع. لا بد أن نقوم بعملية انتقاله لمفهوم القراءة وهذه الانتقالة تقول لنا: يجب علينا أن نوسع مفهوم القراءة ونحدد مقصود القراءة.

ما هو مفهوم القراءة؟

أن تسمع وتبصر كل شيء يمكن ترجمته، تقرؤه، ومقصدك من هذا كله أن تصل إلى الرشد. وصولك إلى الرشد هذا مقصد له طريق، ما طريقه؟ القراءة.

نحدد الآن أمرين:

1) ما الطريقة التي نقرأ بها؟

2)ما المقصود من وراء هذه القراءة؟

إذا حددنا أن الرشد هو المقصود، سيكون من السهل أن أحدد: هذا ما يُقرأ، هذا أبعِدُهُ، هذا خطر على القراءة، هذا إن دخل فؤادي، أو سمعته، سأضل! لأن مقصدي الرشد.

إذًا مناقشة مسألة القراءة ليست ترفًا فكريًا، لماذا؟ دعونا نصّور المسألة بصورة بعد ما عرفنا ما هي القراءة، وما هو هدفها. فبعد أن تعرف ما هي القراءة، وما هي أهدافها، ستخرج بنتيجة أن القراءة ومناقشتها ليست ترفًا فكريًا. ونصّور المسألة بهذا المثال؛ لنعرف أن القراءة حاجة من الحاجات وليست ترفًا فكريًا.

الآن هذه الحياة التي تعيش فيها عبارة عن طريق، آخر هذا الطريق أن نلقى الله-هذا يقين-هذا الطريق الذي نسير به:

1)أتينا له ومعنا كل الإمكانيات التي تساعدنا على السير في الطريق.

2) الطريق مجهّز لنا لكي نسير فيه.

3) من تجهيزك وتجهيز الطريق بحيث تلتقيا، أنك تستطيع أن تقرأ، والطريق فيه إرشادات.

الآن أنت تقف هنا، وفي النهاية ستلقى الله وأمامك اختيارات متعددة تسير لهذا؟ أم لهذا؟ أم لهذا! ما الطريق الذي تسلكه؟ فهناك إرشادات مكتوب عليها:

- آخر هذا الطريق قاع محيط ستغرق فيه.
- آخر هذا الطريق وادٍ سحيق ستقع فيه.
- آخر هذا الطريق مستنقع من الأوساخ ستقع فيه.
- آخر هذا الطريق ستلقى الله وأنت في سلامة من شأنك، سرت في الطريق الصحيح، هذا الصراط المستقيم.

إذًا أمامنا طرق كثيرة، كلها مكتوب عليها إرشادات وفقط من يعرف القراءة هو من سيسلك الطريق المستقيم، ومن لا يجيد

القراءة فإما أن يقع في البحر العميق، إما أن يقع في الوادي السحيق، أو يغرق في المستنقع!

فإذا كانت القراءة تعني التهجيّ؛ إذًا أنا سأقرأ الحقائق، وبعد ذلك لا أعرف ما نتيجتها! ونشبّه ذلك بشخص ضعيف في لغة أجنبية، يُطلب منه أن يقرأ نصًا، فيقوم بالتهجئة، يتهجّاه، لكن لا يفهم ما المكتوب. وهكذا الحياة، شمس تشرق، أيام تنقضي، فصول على السنة تمرّ، نبات يُزهر، ربيع يأتي، خريف يمرّ، وكل هذا ما يُقرأ عند أصحابه. بالعكس، كلَّما زادت الأشياء كلَّما زاد تمسكًا بالدنيا وزاد سوءً في قراءتها، مع أن هذا الذي تراه في الكون يُترجم لك في المكتوب، الأمر لم يترك لقدرتك أو لفهمك فقط، كُتِب لك، وُضّح لك! قيل لك: هذه الحياة كمثل الزهرة والزهرة أسرع ما يَذْبل في الثمر.

لذا؛ نناقش موضوع القراءة لأن نهاية موضوع القراءة إما حق وإما باطل، إما ضلال وإما هداية، وهذا لا يكون إلا لو عمّمنا

(مفهوم القراءة) كمفهوم، واتفقنا على مقصود القراءة؛ ولذا كثير من الأطروحات التي تطرح مسألة القراءة –بعد ما تبيّن لنا مفهوم القراءة-تطرحها كتقليد للشرق والغرب، فتراهم يرددون طوال الوقت:

- هؤلاء يقرؤون! وأنتم لا تقرؤون!
- أنتم أمّة اقرأ!، فكيف يقرؤون وأنتم لا تقرؤون!
- يجب أن تقرؤوا مثل ما يقرؤون وتلبسوا مثل ما يلبسون!

ليس من منطلق إصلاح الإنسان، بل من منطلق هزيمة المسلمين، ونقول هذا الكلام لأنه لا فهم واضح لمسألة القراءة، ولا هدف واضح من وراء القراءة. وأنا ألوم في هذا حتى الناس المستقيمين، تسمعينهم طوال الوقت يرددون: (نحن أمّة لا تقرأ) ولم يفكروا في نوعيّة القراءة المطلوبة، ومن يرى الناس في شهر رمضان، متوسطي العمر وما فوق، وكيف حرصهم الشديد على قراءة كتاب

الله، هذا الحرص ماذا يساوي؟ أن القوم قارؤون أم ليسوا بقارئين!

وكلَّما تقدم الإنسان في العمر، كلَّما قرأ هذا الكتاب، وختمه، في أقل تقدير مرّة في الشهر. ويُعاب عليه-شرعًا-إذا ما قرأه كل شهر، وهذا الأصل في أمّتنا فتري كل جمعة الناس يجتمعون ويجلسون ليسمعوا ما قرأه هذا الخطيب عليهم، ويتلوا عليهم الآيات ويسمعهم إيّاها، وكيف في كل فرض نحن نقرأ، كيف في كل صلاة جهرية يصلي فيها الرجال مع إمامهم يقرأ فيسمعوا، وبناء على أنّه لا فهم، ولا هدف واضح يعودون فيقولون: نحن أمةّ لا تقرأ! كيف هذا!

 بداية المشكلة عنده هي الهزيمة النفسية، ليست من عند إصلاح النفس؛ لأن اختيار النوعية في القراءة هذا أمر مهم، فإن اخترتِ كتابًا به فساد، فيا ليتك ما قرأتِه.

وإن اخترتِ كتابًا به تضييع للوقت تتمنين لو أنّكِ لم تقرئيه. إذًا هل القراءة بذاتها ممدوحة؟ أي لمجرد أنني أقرأ يصبح الأمر

ممدوحًا ومحمودًا؟ لا، توجد كتب كثيرة نندم على قراءتها، على الأقل من باب المحافظة على الوقت. وهذا غير الكتب التي أدخلت في قلوبنا الكثير من الشكّ! غير كتب الخُرافة!

السنة الماضية أو التي قبلها، في هذه البلاد المباركة، أحدهم كتب رواية-لأن الناس تحبّ الروايات-وكما يبدو أننا قد انتهينا من قصص حبّ الإنس للإنس، وانتهينا من هذه الموضة فأتى لنا بجنيّ أحب أنسيّة وأنسية أحبت جنيًا!

ونرى أبناءنا اشتروا، وقرؤوا، ثم يصدّر بشعار: "الأكثر مبيعًا!"

هل هذا القلب خُلق لكي أضع فيه هذا الكلام؟ ثم أشعر بالنجاح لأنني قرأت، وأقول: الحمد لله نحن أمة تقرأ! وعندما سُئل الكاتب: ما الدوافع، لماذا فعلت؟ لماذا تكتب كلامًا يدخل في السحر والمسائل الغيبية؟ قال: "كنت أود لو ترتفع نسبة القراءة". القراءة!

 فبوضوح، أصبحت القراءة مظلّة تحتها يعبث العابثون بعقول أبناءنا. ولابدّ من القيام بعملية صد! ولا نسكت، **وهذا الصدّ يكون بخطة محكمة لأمرين:**

1) لبيان حقيقة القراءة.

2) وللطريقة التي أصل بها لهذه القراءة.

من هو القارئ حقيقةً؟ من هو المثقف حقيقةً؟، كيف أصل إلى ذلك؟ هم عندما يضعون معيارًا للقراءة الجيدة، ترينهم يضعون التنوع، التنوع عندهم أمر مثير، براق، لماذا؟ لعدم وجود الهدف من القراءة، خذ من كل بحرٍ قطرة. سيئ، حسن، لا مشكلة.

فنحن عندما نقرأ كتاب الله-وفيه الغنوة عن كلّ شيء، وفيه منطلق المعرفة لكلّ شيء-نقول: هذا الكتاب العظيم مفتاح لنا لكل علم، مفتاح لنا لنبحث وراء ما فيه، وسنضرب مثالًا واحدًا:

نسمع في كتاب الله كثيرًا الكلام عن الشمس والقمر وكيف أنهم آيتان تدلان على عظمة الله، هذا يفتح لك نافذة أن تقرأ علميًا ما

حالة الشمس؟ ماذا يقول الناس عنها علميًا؟ ماذا عرفوا عن هذه الشمس؟ وكلَّما قرأت عنها كلَّما تحقق لك الإيمان بكونها آية.

- معنى ذلك أن هذا الكتاب يفتح لي باب لمعرفة الحق.
- يُوصف الإنسان في كتاب الله، مثلًا بأنه عجول، يُوصف بأنه شحيح، ماذا تفعلين؟ تأخذين من هذا الكتاب العظيم هذه الصفات، وتفكرين فيها جيدًا وتفهمينها، وتبحثين عن حلول لها في كتاب الله، وتعيشينها مع نفسك، وتعيشينها مع الناس، فتصلي من هذا الكتاب إلى الحقائق التي من وراءه. الناس لأنهم ما يفهمون كلام الله يقولون: "هذا ليس تعددّ موضوعي"، أي أنّك لا تقرئين إلا في موضوع واحد. بل نحن نعتقد أن كلّ شيء فيه. وكل واحد فينا يأخذ نصيبه من كل شيء.

لذا نؤكد على مسألة ذكرناها أول ما بدأنا (صناعة القراءة)، وهي أن القراءة التي وراءها معرفة، تعرفت، تعلمت، إذا صحّت أنتجت معرفة.

 القراءة إن كان وراءها معرفة، إن صحّت هذه المعرفة، تنتج معرفة.

لا بد أن تنتج معرفة، فأنتِ تقرئين بطريقة تجعل هذه المعرفة واضحة، وتقلبينها، إلى أن تأتي إلى هذه المعرفة فتجدي نفسك تستعملينها في علاج الأمراض النفسية، تستعملينها في التربية، وهنا تستعملينها في الإرشاد، وهنا تستعملينها في وضع خطط للتعليم. هي نفس المعرفة؛ لأن هذا الكلام كلام الله، من هذه المعرفة تُنْتَج المعرفة.

ثم إنك لست مثل القوم في أمر مريج، أنت في أمر ساكن واضح، متأكد أن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أبدًا. وكلَّما راودتك نفسك على أمر-تقع في شيء من الشُبه-ترجع فتجد في كتاب الله المحكم الذي لا كلام فيه، هذا سيأتينا عندما نتكلم عن الكليات المهمة التي تحكم القراءة حتى لا تحدث فوضى فكرية، منها أن هناك في كل مقروء مُحكم ومُتشابه.

مثال على إن المعرفة تنتج معرفة:

- العلاج النفسي من منظور إسلامي من القرآن والسنَّة.
- المناهج التربوية من النصوص القرآنية ومن كلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.
- رفع الهمة وشحذها ومعالجة الإحباط من كلام الله وكلام رسول الله.

وهكذا، أريد منكم أن تتصوروا كيف تُنتَج المعرفة، لكن هذا بعد أن تعرفي، لا مجال للاختراع، أنتِ تتعلمين، تتعلمين، تفهمين بعمق وهذا الذي تفهمينه بعمق ستجدين خانات كثيرة مفتوحة تستطيعين أن تصبي هذه المعرفة فيها فتُنتَج معرفة جديدة.

وهذا الذي يكون دليلًا على أنّنا نمشي في الطريق الصحيح، أن المعارف تُنتِج معارف. وإن كنتِ ترينه إنتاجًا صغيرًا. (المعارف

تُنتج معارف) أي أنني اكتشفت نفسي، تعلَّمت فأنتجت قراءتي لكتاب الله ومعرفتي لكلام الله معرفة بنفسي، عرفت من أنا، عرفت أنني لو أصابني ما أحب أطمع، وإن أصابني ما أكره أجزع، كما أخبر الله في كتابه، هذا أنت وأنا وكل الناس، ومن ثم أتى الاستثناء: {إلا المصلّين}[52]) فأفكر كيف الصلاة والعبادات والطاعات ستخرجني من هذه الصفة، لابدّ أن تنتج المعرفة معرفة حتى لو على قدري أنا، هو المطلوب أصلا على قدرك أنت ثم الناس. هناك أناس مخصصين ناس قدّر الله لهم أن يكونوا بفطنة وذكاء ومعرفة ومهارات خاصة، هؤلاء ينتجون للناس كلهم المعارف، وهم العلماء.

من يفهم هذا جيدًا، من يجعل ما تركه علماء الإسلام ميراثًا ينكبّ عليه ولا يغادره؟

---

[52]() [سورة المعارج: 22]

أضرب لكم مثالًا-إن شاء الله-يكون فاتحة للتفكير لغيره: من يقرأ صحيح البخاري يرى هذا الرجل كيف أنه بعد عهد الصحابة والتابعين ما خرج رجل في ذكائه ونباهته، كيف تكتشفين هذا الأمر؟ أنت ستقولين: لأنه جمع الأحاديث. لأن غالبًا من يقول هذا الكلام لا يعلم كيف كتب البخاري كتابه، ولا يعرف كيف صفّى هذه المنظومة من الأحاديث، وكيف كتب اسم الباب وكيف أنك لو فتحتِ أي كتاب تريدينه وقرأتِ أسماء الأبواب تجدين علمًا غزيرًا يحتاج بنفسه إلى باب، فهو أخرج خلاصة لبّ فهمه، خرّج المعرفة بأحاديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-إلى معرفة سهلها لنا، وعقد أسماء أبوابه بصورةٍ بديعة.

من يقدِّر هذا؟ يقدّره من يقدّر العلم؛ ولذا أحيانًا يأتي العلماء في مواقف يشعرون أن من حولهم لا يستحقون هذا العلم. فماذا يفعلون؟ ينكبون على الكتب يكتبون، يشتكون في وسط كتبهم، أن أهل زمانهم لا يصلحون للعلم، فينكبوا على الكتاب ويكتبوا،

وينتظروا أن يأتي زمان يُقدّر فيه العلم، فنحن لا نكون أبدًا الزمان الذي لا يقدر العلم. نرجو من الله أن نكون نحن وذرارينا الزمن الذي يقدّر العلم؛ ولذا ما تأتي مثل هذه المسائل هكذا وأنا فاتحة أي جهاز وأنا نائمة على فراشي وأقرأ هكذا، اشتهيت أن اقرأ تفسير معنى هذه الآية، أو أريد أن أفهم معنى هذا الحديث، أو أريد أن أعرف هذه الفكرة كيف عالجها الناس، فأقرأ عبر أي جهاز وأعتبر أني قد عرفت! هذا ما أسميناه بالانتفاخ المعرفي، الصورة تمامًا كشخص، أصاب يده حرقًا فأوجعه، ثم يحصل له انتفاخا. هذا الانتفاخ فارغ! هذا الانتفاخ المعرفي من الداخل يحسب نفسه يعرف شيء، وهو لا يعرف شيئا! ومشكلته أنّه ما وقف عند نفسه! لا يتطور فيتعالم على الناس.

نحن لا نريد أن نكون الزاهدين بالعلم المتعالمين على الناس؛ لأن اليوم الشباب تفتحين لهم موضوعًا في السياسية يتحدث فيه، في الاقتصاد يتحدث فيه، في علم النفس يتحدث فيه، في إصلاح

المجتمع يتحدث! ومن ثم أنتِ عندما يفيض بكِ، ويصبح ليس لديك موضوع تتكلمين فيه، هو يفتح لك مواضيع أخرى في مسائل كثيرة أخرى، على أنه يفهم هذا كله، على أنه الشاب المثقف! ثم عندما تعرفينه على الحقيقة تجدينه فارغ من الداخل! وهذا طبعا من آثار أطروحات القراءة الفارغة.

على كل حال، نبقى نشتكي إلى الله، من هذه الحال التي نعيشها لكن لا بأس ما دمنا نجتمع، ونهتم بالعلم، ونهتم بمعرفة حقيقة القراءة، ونهتم بمصدر القراءة الصحيح عندنا، كل شيء سيتغير بأمر الله وما دمنا نقرأ ليتعلم هذا العقل ويعقلنا عن الخطأ فالحمد لله، وما دمنا سننكب على كتب علمائنا ونرى كيف تُعلّمنا كتبهم العقل وتجعلنا شُركاء في استكشاف المعرفة، وهذا أعجب شيء في ميراث علمائنا، أنها تجعلك شريكة معه كيف تستكشفين المعلومة، كيف تستخرجينها، كيف تتعلميها، ترين كيف هو تعلمها، كثير من الأبواب تقرؤها في صحيح البخاري حتى في

كتاب التوحيد، يضع عنوانًا، يضع جملة الشرط، وما يضع جوابها، لماذا لا يضع جوابها؟ لأجل أن تقرئي أنت الأدلة وتستخرجي معه الجواب. فأحسن الكتب المكتوبة هي التي تجعلك شريكة في معرفة المعرفة.

وأحسن طريقة لقراءة الكتب أن تقرئي عقل هذا الذي كتب، وأنا أتكلم عن ميراث هذه الأمة فيما تركت لنا. ولا تقولوا ما ترك الأول للآخر شيء، بل نقول: كم ترك الأول للآخر! أشياء كثيرة تحتاج إلى سدّ، وعرض، وبيان، وتمثيل، وإظهار، ونشر، ونحن بدلًا من أن نجترّ ثقافة الغرب والشرق، وبدلًا من أن نأتي بكتب أناس لا نعرف كيف ننطق أسمائهم، وبدلًا من أن نأتي بشرّ البرية ليتصدروا قيادة خير البريّة، نعود إلى ما تُرك لنا ونبذل جهودنا.

وعلى كل حال، لا يأتينا أبدًا اليأس، ولا إحساس من أين أبدأ، أنت فقط استهدِ الله والله سيدلّك. وإذا لم أستطع أنا عمل ذلك

والإتيان به، على الأقل أرشد الناس من هنا الطريق، اقرؤوا هذه الكتب تصلون برحمة الله للخير والبركة.

كنا بدأنا في اللقاء الماضي بسورة هود، واتفقنا أننا سنزيد بيانها ونكمل المسألة الثانية فيها...

كأننا أشرنا إلى بعض آليّات القراءة واتفقنا أن آليات القراءة تحتاج إلى لغة جيدة، فإذا أصبحت لغتنا جيدة تصبح القراءة جيدة، واللغة الجيدة تُكتسب بطرق ليست شأننا الآن، شأننا أن ننظر للسورة التي كنا نتناقش فيها، ونرى كيف هي حاجتنا للغة الجيدة، ونرى أيضًا كيف نحتاج إلى صورة متكاملة في كل مرة.

كنا نناقش قصة نوح في سورة هود، استفدنا منها فائدتين.

- أن القصة فيها ما يدل على حقيقة القراءة.
- على أن القارئ يؤثر على المقروء.

أين وجدنا في القصة أنكّ أنت تؤثر على الحق؟

في مطلع القصة...

{فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنّكُمْ كَاذِبِينَ}[53])

{مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَرًا مِّثْلَنَا}: قرؤوا وضع نوح-عليه السلام-، رأوا أن البشرية تعني عدم قبول الرسالة، مع إنك لو قرأت الموقف جيدًا سترى أنه لو كان مَلَك لكان من الصعب عليك أن تقبل منه، ولا يمكن أن يخاطبك مَلك، ولو الملك صلّى وعبد ودعا ستقول: لأنك مَلَك!

إذًا كيف تُقرأ هذه العطيّة على أنها مانع من استقبال العطيّة؟ إذًا لأنهم كانوا رافضين للنبي؛ قرؤوا الموقف بهذه الصورة.

انظري أيضًا للتعبير القرآني: {مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَرًا} {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ} الذي رأوه بأعينهم ترجموه بقلوبهم مانعًا، ماذا رأوا؟ رأوا

---

[53]() [سورة هود: 27]

ألا يتَّبعوا الذي اتبعه الأراذل، وقالوا عن هؤلاء الأراذل أنهم بادي الرأي، أي: متعجلين، لا رأي لهم، هذا الذي جعلهم يقرؤون بهذه الطريقة، فترجموا قبول الحق بالتّسرع، نعود فنسأل، لماذا قرؤوا الحدث بهذه الصورة؟ لأجل ما في نفوسهم.

ثم قالوا: {وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} السر في الآية: (نرى، نرى، نرى) هذا السر الذي جعلنا نختار هذه الآية على أنها قراءة؛ لأنهم يرون بأعينهم ويترجمون بقلوبهم، فهذه من القراءة. يسمعون بآذانهم ويترجمون بقلوبهم.

رأوه بشرًا؛ قالوا: {مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا} كون الرسول بشر، فهذا عندهم مانع.

والمفترض عندما يرونه بشرًا أن يتأكدوا أنه رسول.

{وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ} اتبعوه الأراذل؛ لأن الملأ يمنعهم ما هم فيه، أنهم مترفون، ويودون أن

يحافظوا على أحوالهم، فيمنعهم هذا من متابعة الرسول، وكان هذا واضح في قولهم: {وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} في كون نفوسهم هي التي قرأت الموقف بهذه الطريقة.

تحذير: كلنا نشبههم، في المواقف التي نريد أن نخرج أعذارًا لعدم استقامتنا، نأتي نقول: لا أرى هؤلاء مناسبين للإنفاق عليهم، لا أرى هؤلاء مناسبين للعمل معهم. ونكون نحن ما قسنا المسألة بطريقة صحيحة إنما هوانا غلبنا في اتخاذ القرار، كثير منَّا يقرأ الأحداث كما يريد، نأتي على ناس مستقيمين في دين الله، ولا نراهم إلا متشددين؛ لأننا رأينا شيئًا يُخالف ما نحن فيه.

مثلًا:

- أحدهم يتساهل في الحجاب لسبب أو لآخر، فلنقلْ: لشهوة في قلبه، لكنّه يعرف أنه حقّ، وأنه واجب، ويعرف أيضًا أنه مطلوب الاستقامة عليه ويتمنى أن يكون من المستقيمين عليه، فيرى

المستقيمين عليه فيترضى عليهم ويقول: يا ليتني ألحق بركب المستقيمين.

- والثاني متساهل لكن لا يريد أن يقول لنفسه إنه خطأ، فحينما يراهم يترجم حالتهم على أنهم متشدّدون.

 فخرجنا من هذه الآية بأن القارئ يؤثر على المقروء، كما أن القراءة تؤثر على القارئ.

وأريد أن أقول لكم: في الثقافات الحديثة يرون أن هذا من حرية القراءة، أن أعطيك نفس المادة تقرؤها وأنت تنفعل معها بأساليب مختلفة ومن ثمّ يسمونها-وهذا من فوضى القراءة-: (نسبية الحقيقة)، فهذه تعتبر من الفلسفة الحديثة، وهذه الفلسفة تجعل الحق بالنسبة لك كذا وبالنسبة لي كذا! إن ذلك يعني أنه لا وجود للحق الصرف؟! كيف ذلك؟ والله في كتابه يكررّ كلمة (الحق) ويبين لنا أنه حق وأنّ كتابه حق، وأن الجنة حق والنار حق.

وفي بداية الأمر الموضوع يظهر جميل وفيه نوع من عدم فرض الرأي، لكن في النهاية هذا معناه أننا لن نتفق أبدًا على حق صرف، ومعناه أنه يمكن أن يصبح الفجور حقًا! ويمكن أن تصبح الاستقامة والقيم العُليا باطلًا!

كيف نأتي في موقف واحد، ولا نضع مقاييس شرعية له، بل نضع مقاييسًا نسبية؟ هذه هي الفوضى الفكرية.

نأتي بمثال: أنت الآن لديك مال، وتريد أن تنفق هذا المال، أنا المُنفق أراه إنفاقًا في سبيل الله، وهذا الذي يراني يراه إسرافًا!

- ماذا نفعل في الشريعة؟

نضع مقياس، فنسأل: هل هو تعدّى ثلث مالك؟ هل هو كذا، هل هو كذا...نضع المقياس ونضع كل شيء في مكانه. في النسبية لا، هل بالنسبة لفلان إسراف؟ إذًا يقرّر أن لا يُنفق. بالنسبة لي حق؟ إذًا أفعله. أي أنه لا وجود لموازين مُتفق عليها تُوزن به الحقائق!

و (بالنسبةِ لك) يقصدون بها أن كل فرد يصبح إله نفسه، وهذا هو الشيء الخطير، ألا يوجد ميزان للحق، وهذه الأشياء ما تُرى أبدًا في البداية، وكل ضلال في البداية تظنّه أقرب ما يكون للحقّ، لكن في النهاية هو باطل، يجعل الأمور لا ميزان لها ولا يوجد بها حق صرف.

لذا ماذا يفعلون في الكثير من مناقشاتهم حول الكتب؟

يطلقون الأحكام، الشيء الواحد يقبلون أن يحمل المتناقضات. لماذا؟ لأني أرى كذا وأنت ترى كذا، لا وجود لميزان يزن الحق ولا توجد مقاييس تزن المحكوم.

ففلسفة النسبية هي التي سببت الفوضى الفكريّة، وهذه في نهايتها هرطقة؛ لأن نهاية النسبية، أن يقول: أنا بالنسبة لي أن الاشياء التي تقول إنها موجودة ليست بموجودة، ليست بموجودة بالنسبةِ له ويريد إثباتات أنها موجودة، وعندما تثبتينها يعترض ويشكك في أصول المسائل.

كانت هناك مقالات كتبتها من المملكة فتاة سمّت نفسها (فتاة الشكّ)، كتبت مجموعة مقالات، الذي يقرأ جيدًا يفهم جيدًا أنها ابتدأت بمسألة النسبية، ما النسبية؟ أي أن الحقيقة نسبية، شروق الشمس بالنسبة لك حقيقة، بالنسبة لي ليس حقيقة. لهذه الدرجة!

وهي تقول كيف أنها وصلت من كثرة التفكير بالنسبية أنها شكّت في كل شيء أن يكون أصلا موجود، وهذا متوقع، هذه النهايات ما يشعر بها إلا الذي ذاق ألمها.

فالمقصد أن هذا الباب-باب القراءة وما وراءه-إما إلى حق صرف وإما إلى تيه؛ لذا لابدّ أن نكون فُرْسَانُهُ، فندل الناس على الحق الصرف، ولا يتولى مثل هذه المسألة أصحاب الهرطقة، ويصلون في النهاية إلى الفوضى الفكرية التي ترونها.

وقفنا أمس أيضا على آية (28).

ووقفنا هنا على مسألة بديعة جدًا في البيان، ماذا قال لهم بعدما كانت هذه قراءاتهم؟ {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}[54] أمس ناقشنا: {فعميّت عليكم} خصوصًا لو نظرتم آية (24)، لوجدتم فيها خبرًا عن الأعمى والبصير، في القرآن وصفت الآيات بأنها (مُبصرة) كقوله تعالى: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}[55] الناقة هي الآية فوصفت هنا في الآية أن الآية بنفسها مُبصرة.

نعود في سورة هود، {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} ما الذي وُصف بالعمى؟ **الآية** أصبحت موصوفة بالعمى.

من هذا المعنى نخرج إلى المعنى الآخر، هذي البيّنة تامة الوضوح، البّينة تصل بنفسها إلى قلوب المستعدين للقبول، كأنك جالس والبينة تمشي وتراك فتدخل قلبك. لكن لما كانت قلوبهم غير

---

[54] () [سورة هود: 28]

[55] () [سورة الإسراء: 59]

صالحة لدخول البينة لها، عُميّت عليهم، ما رأتهم، تخطَتهم. فإذا عُمّيَت عليهم البينة، ماذا يمكننا أن نفعل لهم!

- وهذا معناه أنك لو كنت مستعدًا، لدخلت في قلبك.
- وهذا معناه أننا نشترك في رؤية الحق، لكننّا لا نشترك في دخول دلالة الحق إلى قلوبنا. فنقرأ سويًا نفس الأمور.

كم يُصَوَّر الشروق والغروب!؟ في إحدى الدول، قاموا بعمل إحصائية بعدد الذين يصورون الشروق والغروب، كفّار، يصورون الشروق والغروب، ما دلالة الغروب والشروق عندهم؟! صورة، يتسابقون عليها ويهتمون بها ويأتون بأدق آلات التصوير ليلتقطوا الصور، لكن ما دلالة الشروق والغروب؟ ماذا يخبرك الشروق والغروب؟ عُمّيَت عليهم! ما دخلت الدلالة إلى قلوبهم، مع أننا كلنا نشترك في قراءة نفس الأمر.

ومثله وأعجب منه، العاكفين على القبور يعبدون غير الله ويقرؤون القرآن، عند القبر يقرؤونه! والقرآن كله يسبّ المشركين، كيف قرأت هذا!

 يقرأ نفس المقروء، حروفًا، أو في الكون، أو يسمع نفس الأخبار، لكن ماذا تقول له؟ هذه هي التعمية. ويختلف الناس في ذلك؛ لذلك لا بد أن تصح قراءتنا للأشياء، لا بد أن نقرأ بصورة صحيحة.

وصلنا إلى ابن نوح، في نفس سورة هود، آية (42)

انظري لقراءته للحدث، وهذه الحقيقة من أعجب أنواع التّعْمية، هل تتصورون الموقف؟ كُلّ شيء يفور، الماء من السماء فُتِحت أبوابه، والأرض أصبحت عيونًا، وفي بداية الآية قال تعالى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ}[56] وهذا من أبدع تصوير يجعلنا نستعجب فيما يقوله هو، الموج كالجبال! ماذا يتصور في

---

[56]() [سورة هود: 42]

حال الناس؟ أنهم أسفل منه، غرقوا، {وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ}[57] يكون جوابه: {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}[58] الموج كالجبال كيف ستأوي إلى جبل؟ قراءة عجيبة! لتتصوري كيف أن الإنسان لا يخرج عن قراءته حتى في آخر لحظة؛ لاستقرار الباطل فيه، فعُمِّيَت عليه. فلا نتعجب أن يكون الإنسان في قلب الحدث ولا يقرأ الحدث كما ينبغي.

مثلما سمعنا عن مريض، سافر، وعُولج، ونجاه الله من المرض، وهو ممن ينكر صفات الله، أو بعيد عن الدين، لا صلاة ولا إيمان في مجتمع مسلمين، ثم يردّ إلى بلده يقولون له: كيف عادت إليك صحتك؟ -ويكون كلّ ما مرّ به كان اختبارًا له!-فيقول: "بإرادة الصحة"! هكذا قرأها! كانت إرادتي قويّة وكنت مصرًّا على الحياة وتشبثت بها، ومن ثم بعد إرادته للحياة هذه، بعد 3 أشهر مات!

---

[57] () [سورة هود: 42]

[58] () [سورة هود: 43]

وتجد من تثقَّفوا على يدّ هؤلاء، يدخلون على المريض في المستشفيات، يقولون له: تشبث بالحياة وتمسّك بها، لا تيأس، فتمسكك بالحياة سيجلب لك الصحة والحياة!

كيف قرأ الشفاء؟ قرأه على أنه بسبب إرادة الحياة. كيف قرأ الناس الحدث بعدما مات ومات فجأة؟ أُبتُلي بالمرض ليعود، فما عاد. جعل الصّحة زيادة في كفرانه. فمات بعدما زاد الكفران لهذه الدرجة. كأنه يقال: رجعت الصحة ليعرف أن الباطل عميق في داخله.

 المقصد أن هذه المواقف كلها التي نمر عليها قد نُعمّى عنها وقد نقرؤها كما ينبغي؛ ولذا دائمًا نقول: {اِهْدِنَا الصِّرَاطْ المسْتَقِيمْ}[59]، اهدنا أن نقرأ الأحداث كما هي، اهدنا أن نرى الأشياء على حقيقتها، اهدنا أن نتهجّى حروف القرآن فتجري كلماته على لساننا وتصل معانيه إلى قلوبنا.

---

[59]() [سورة الفاتحة: 6]

– كان هذا أول أمر تناقشنا فيه، وكنّا نريد أن نركز على هذه المسألة التي تتصل بالقراءة، كنّا اتفقنا على أن القراءة تؤثر عليك، والآن اتفقنا على أنك تؤثر على القراءة.

– وبدأنا في نقطة جديدة، أن الإنسان إذا قرأ الكلام بصورة صحيحة، بآليّة صحيحة، وجد وراء الكلام ما يدلّه على المتكلم، وهذا يحتاج منّا إلى قوة في اللغة، وضربنا مثال على ذلك آية (44):

{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[60])

تجدون هذه الكلمات العظيمة، التي فيها خطاب من الله للأرض وللسماء، وهذه العظمة تظهر في مناداة الأرض، أمر الأرض، وهذا ليس في كلام شاعرٍ، ولا كلام ناثر، أن يأمر الأرض

---

[60]() [سورة هود: 44]

فتستجيب، يأمر السماء فتستجيب، {وَغِيضَ الْمَاءُ} هذا معناه أن غَيضُه ودخوله لم يكنْ إلا بأمر.

{اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} فيها إشارة إلى الفخامة والائتمار بالأمر.

من ثمّ تبدأ الآية: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ} وتختم بـ: {وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

فحين تقرؤها بفؤادك وأنت لديك من معرفة بأحوال الكلام، معرفة كيف يتكلم المتكلمين، ستعرف أنه لا يمكن أن يقول هذا الكلام إلا الله العظيم. من يأمر الأرض فتفعل، ويأمر السماء فتفعل، ومن يخبرك عن غيض الماء وعن استواء السفينة على الجوديّ ومن يقول: بُعدًا للقوم الظالمين، إلا من يملك الملك. هذه أسرار تحتاج إلا مزيد بحث وبيان لتشعر بها كما ينبغي.

بقي علينا الجزء الأخير من النقاش، نحن نريد أن نتفق على آليات القراءة.

فأول آليات القراءة-كما اتفقنا-: أن يكون عندك لغة جيدة.

اللغة الجيدة، تجعلك تفهم أن هذا الكلام لا يقوله إلا ملك، لا يقوله إلا مالك الملك، لو ذكرنا مثالًا آخر، أنت تقرأ في [طه] كيف عندما يأتي موسى-عليه السلام-ثم يقول له الله: {أَنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}[61] هذه الكلمات العظيمة ممن ستخرج؟ عندما تفهم جيدًا، كيف أتى، كيف قُدِّم، كيف أُخِّرْ، كيف أتت فيه الحروف، لا يمكن أن يكون هذا كلام بشر، فحين تفهم جيّدًا وتقرأ بصورة جيّدة ستعرف من المتكلم، وسيكون لهذا الكلام أثر في قلبك. عندما تتقدّم أكثر وتبدأ تقرأ للعلماء وللكبار ولأصحاب الفهم، سيقوى عندك هذا الأمر لدرجة أنك تستطيع أن تميّز، هذا فهمته مما فهمه البخاري، هذا فهمته من تعليق مسلم، هذا فهمته من تعليق كذا، هذا فهمته من الإمام مالك في الموطئ لما فَهِمَ كذا، تقرأ ما وراء الكلام، ومن هنا تكون

---

[61] () سورة طه

القراءة لها معنى، وليس مجرد التهجئة وليس مجرد الحفظ، ومن هنا يتولّد من وراء المعرفة معرفة.

من الأليات المهمة في القراءة: ما نسميه "اكتمال الصورة":

- لابدّ عندما تأتيك إشارة إلى معنى، أن تتبع الإشارة!

- تتبعها كما يتتَبع طالب الماء منبع الماء، تخيلوا هذه الصورة، كأن واحد يمشي في صحراء يريد ماء، فوجد بركة صغيرة فيها ماء، كأن الإشارة تقول إن هذه البركة الصغيرة تتغذى من جدول، تتغذى من غدير، وهو لو قنوع-والقناعة في غير مكانها هنا-سيشرب من مكانها وينتهي، ولو كان طامحًا أن يرعى غنمه، فسيتتبّع الماء حتى يصل. هذه الصورة نفسها في عقولنا، إذا كان الإنسان طامحًا في القراءة، يقرأ وهو طامح أن يفهم ويستزيد، أول ما تأتيه الإشارات يتتبعها.

- **ننمذج في قصّة هود.**

نرى آية (40) هي بداية الإشارة: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}[62] إلى آخر القصة...

{جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} فار التنور؟ ماذا حصل بعد ذلك؟ فار التنور! أمر عجيب، ما الذي حصل؟

فتبقى تقرأ في القرآن، تبحث في كل المواطن التي ذُكرت فيها قصة نوح، إلى أن تجد الصورة مستوفيّة –صورة "مجيء الأمر، وفوران التنّور"-تأتي الصورة مستوفاة في سورة القمر. فكأنك تسأل: ما فوران التنوّر؟ نذهب إلى سورة القمر ونكمل الصورة في عقولنا {جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} "جاء الأمر" هذه ما معناها؟ ماذا حدث بالتفصيل؟ سيأتيني في سورة القمر هذا التفصيل، وهذا التفصيل فيه أمور لابد من التنبّه لها.

تبدأ القصة في آية (9) من سورة القمر:

---

[62] () [سورة هود: 40]

بداية القصة وُصفوا بأنهم: {فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}[63]

انظروا للمقابلة، هذا الكلام سيكون عن اللغة كيف تقرأ ما وراء ما تقرؤه. قال عنه: {عَبْدَنَا} وهم ماذا قالوا؟ {مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} أي أنهم زجروه. كيف (عبدنا) فيها تكريم وكيف (مجنون) فيها افتراء وإهانة واعتداء.

الآن انتقلي لآخر القصّة آية (14) ماذا قيل؟

{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ}[64] المقصود: السفينة، من الذي كُفِر؟ ما المقصود بكُفِر؟ لم يقل: (كَفَر) تجري بأعيننا جزاء للكُفّار؟! لا ليس هذا المقصود، من الذي كُفِر؟ نوح الذي كُفِر، عندما أُهين، عندما رُدّ، عندما كذّبوه. تجري بأعيننا جريانها برعاية الله والنجاة من الغرق جزاء، جزء {لِّمَن كَانَ كُفِرَ} وأنتم

---

[63] () [سورة القمر: 9]

[64] () القمر 14

ابحثوا بأنفسكم عن "كان" وكيف أن موطنها لطيف، نوح-عليه السلام-الذي كُفِر، فجزاء له نجّاه الله، وأهانهم.

{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ} لمن صبر على الإهانة.

فتتصوري كيف أن إغلاق القصة يأتي مناسبا لمفْتَتحها، (عبدنا) (مجنون وازدجر) (تجري بأعيننا).

فينبغي أن تكون الصورة متكاملة في ذهنك واللغة تركبها، لا يوجد افتتاحية في سورة من القرآن إلا وإغلاقها مركب عليها تماما!

فالمقصود: عندما تقرئين بهذه الطريقة تكتمل الصورة.

1) الإغراق جزاء لهم.

2) وجريان السفينة برعاية الله جزاء لعبدنا المكَرم الذي أهانوه.

- نحن نثبت صفة العين ونعتقدها ثابتة لله ومن لوازمها الرعاية.

وهذا ليس جوابًا بعد، نحن نناقش: {جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ}.

على كلٍ نُكمل، {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}: شبّه يأسه من إجابته لدعوته بحال الذي قاتل وصارع وغُلِب ويقول عن نفسه إنه ضعيف، فيقول: انتصر لدينك. ما قال: "انتصر لي" قال: "فانتصر"، فهو من أول الأمر يريد أن ينتصر للدين.

ثم يقول الله-عزَّ وجلَّ-: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ} متى حصل الإغراق؟ لمَّا دعا، لكن هو متى دعا؟ لما استيأس من هدايتهم، لما استفرغ كل الهداية، هنا يعطيني إشارة جديدة، فأخرج من هنا وأذهب لسورة نوح وأسمع:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}[65]

---

[65] () [سورة نوح: 5-9]

فأسأل لماذا وصل لحال قال فيها: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}؟ أذهب لسورة نوح فأكمل هذا الجزء من الصورة.

تجدين المسألة متتابعة يجرّ بعضها بعضا، فتصبح المسألة في عقلك واضحة، لا فراغات، وهذه هي القراءة الصحيحة.

فحينما تُسألين عن قصة نوح-عليه السلام-تكون عندك الصورة واضحة، متكاملة، لا تتوهي في منتصف القصة. فتقرئين جيدًا وتكملّين الصورة بصورة جيدة. هذه هي القراءة الصحيحة، والقراءة الصحيحة تستلزم لغة صحيحة؛ لأن كلا الأمران يترتبان على بعضهما.

الشاهد الآن: {فَفَتَحْنَا} الفاء تعني: استيأس، فدعا، فَفُتح مباشرة. {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)}[66]

---

[66] () [سورة القمر: 11]

إذًا كيف جاء الأمر؟ في وقت واحد، حصل الالتقاء بتقدير عجيب ما فيه أي إخلال، فُتحت أبواب السماء بماء منهمر، ومن أعجب الأقوال هنا قول ابن عبّاس أن الماء هُنا نزل من غير سحاب. من أين استفاد هذا المعنى؟ من {أَبْوَابَ السَّمَاءِ} ، ليست سحاب، إنما أبواب السماء، {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ} ومنهمر هذه معها كل المشاعر التي تريدينها متدفق بقوة، ينصبّ صبًا، والانهمار لا يأتي إلا من فوق لتحت، ولا يأتي بهدوء! كل هذه أسرار وراء كلمة {منهمر} تساعدك أن تتخيلي الصورة بشكل واضح.

الان من السماء: السماء تحولت إلى أبواب يخرج منها الماء.

وماذا عن الأرض؟ {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} لاحظي، لم يقل: (وفجرنا في الأرض عيونًا) لا، بل قال: {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} الأرض نفسها تفجرّت فأصبحت عيونًا.

هل أتى هذا في وقت وهذا في وقت؟ لا، {فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} التقى الماء في السماء مع الماء في الأرض على أمر قد قدر! ما تقدم هذا على هذا ولا هذا على هذا.

إذًا لو تودّين وصف أمر الله؟ وصف {جَاءَ أَمْرُنَا} تقولين:

فُتحت السماء بماء مُنهمر، والأرض فُجّرت عيونًا فأصبحت الأرض كلها عيون، ثم التقى الماء على أمر قد قدر.

إذًا {جَاءَ أَمْرُنَا} في سورة هود، جاء تفسيرها في سورة القمر.

- ما هو المطلوب الآن في القراءة، أن لا تدعي علامة استفهام، هذا تكمليه من هنا، هذه تكمليها من هناك، إلى أن تتّضح لك الصورة.
- هذا أشرف الكلام لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه أبدًا، الصورة ستكون كاملة لو بذلتِ جهدك لتكميلها.

والذي يودّ أن يفهم المسألة جيدًا، لابدّ أن يفهم أن القصص القرآني يُستشهد به في كل موطن على حسبه، القرآن لا يأتي بالقصص لمجرد أن تسمع القصة، القصة شاهدة على حقائق السورة ولذلك؛ هُنا تأخذ جزء من القصة، وهنا تأخذ جزء من القصّة؛ لأنها تشهد على حقائق السورة.

وعندما تتضح الصورة بهذا الأمر تزيدها.

نعود لمثالنا، أجد قصة نوح في سورة هود، فأكملها، كيف جاء أمرنا، كيف كان حاله معهم؟ بحيث أن كل السورة على الأقل تكتمل في موطن واحد. بعد ذلك تبحثين عن كل المواطن، تكملينها بما عرفتِ في أطول موطن. ونحن الآن لا نُريد الوقوف على دراسة السورة، ليس هذا مقصدنا، مقصدنا أن القراءة الصحيحة تكون بلغة صحيحة وبنفس تبحث عن الصورة الكلية.

فأنت عندما تقرئين في كلام الخلق ويأتي يستعمل مصطلح أو حقيقة يمرّ عليها، افهميها بالإجمال الآن من ثنايا كلامه، لكن لا

تسلِّمي وأنت قارئة بأن هذه هي الحقيقة، أو أن هذه قاعدة، أو هذه مسلمّة. لو تركتها لن تكتمل الصورة في ذهنك، ماذا أفعل؟ أضع خط تحت هذه الحقيقة، وأرى أين أبحث عن هذه الحقيقة؟ مثلًا تسمعين: " وهذا فيه غبن في البيع " من ثمّ يترك الكلام ويكمل كلامه، هو لا يتكلم عن البيوع يتكلم عن مسألة وهذا الموضوع أتى فيه، هذه صورة غبن في البيع، قررّ وما شرح لك لماذا هي صورة غبن للبيع، فتذهبي لأي كتاب يتحدث عن البيوع وكيف يكون هذا غبن، فتكتمل الصورة وكذا ينمو العلم، أمّا أن تقرئي الكلام ويصبح عندك هنا استفهام وهناك استفهام، وأنت لسان حالك يقول: الحمد لله أنهيت الكتاب!

لا! ليست هكذا القراءة، القراءة صاحبها صاحب لغة جيدة وطالب لإكمال الصورة يتّبع منبع الماء. يذهب لزوايا المسائل يعرف الخبايا في المسائل، ليست قراءة ظاهرية؛ لذلك نحن لا

نحتاج لقراءة الكثير من الكتب! نحن نحتاج للقراءة بعُمق، ننتقي ونقرأ بعُمق.

وقد ذكر قاضي من القضاء المشهورين في القرن الخامس، أنّه كان يقضي بكتاب سيبويه، في اللغة. كيف يقضي بكتاب سيبويه؟ فلما سُئل في ذلك قال: تعلّمت العقل من كتابه. يقصد بأنه كان حينما يرتب الكلام-هذا في البداية، هذا في النهاية، هذه مقدمة، هذه نتيجة-تعلّم العقل. فأصبح هو عندما يرتب أي قضية تحضره، يقول: هذه مقدمات القضية، هذه حقيقة القضية، هذه النتيجة التي خرجنا بها؛ إذًا الحكم كذا. تعلّم العقل من كتاب سيبويه!

فأنتِ عندما تقرئين من كتب العلماء، لا بأس تتعلمين منهم المعلومات، لكن تتعلمين التفكير أيضًا وهذا بالنسبةِ لي ما رأيته في مثل فعل البخاري، لم أرَ أفهم من البخاري، كيف يحضر أحاديث في أبواب، تقلبينها فقط لتعرفي كيف استشهد بها هنا، ما وجه الاستشهاد هنا؟ إلى أن يتوسع عقلك، فأنت تتعلمين العقل من

كلام العلماء؛ لذلك لا تُسلمي عقلك للتافهين، أنت عندما تقرئين للكبار الذين يربون عقلك سيأتيك غثيان من التافهين الذين يكتبون كلامًا لا يفهمونه.

انتهينا من صناعة القراءة، ألقاكم لاحقًا في القراءة لتزكية النفس، ثم القراءة لبناء المفاهيم.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله